ثقافات الشعوب



مغامرات صائدة الأرانب

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع: فرانك هاملتون كاشنغ
ترجمة: إيزميرالدا حمدان

مغامرات صائدة الأرانب

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع:
فرانك هاملتون كاشنغ

ترجمة:
إيزميرالدا حمدان

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

مغامرات صائدة الأرانب

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

مغامرات صائدة الأرانب: الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

E99. Z9. C912 2009
Cushing, Frank Hamilton, 1857-1900.
[Zuni Fairy Tales]

مغامرات صائدة الأرانب: الحكايات الشعبية لقبيلة الزوني/ جمع فرانك هاميلتون كاشنغ؛
ترجمة إيزميرالدا حمدان. - ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
200ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 5- 978-9948-01-505
ترجمة كتاب: Zuni Folk Tales
1 - القصص الشعبية الأمريكية 2 - الحكايات الأمريكية. أ- حمدان، إيزميرالدا. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة
KALIMA

info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها ، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

بات من المفيد مقارنة خرافات الشعوب مع العلم، حيث يستخدم مصطلح الميثولوجيا للدلالة على خرافات القدماء، ويستخدم مصطلح الفلكلور (الفن الشعبي) للدلالة على خرافات الجهلة في أيامنا المعاصرة. وقد دُرست الأساطير القديمة بعناية من قبل المفكرين المعاصرين لأغراض التشبيه والكناية في بناء الأدب وخاصة في الشعر، ومن ثم التحقق منها لسبر أغوار المعاني الغامضة فيها، بناء على النظرية التي تقول إن حكمة القدماء كانت أسمى بكثير من الحكمة المتداولة في عصرنا هذا. وحالياً، يشارك العلم في هذا المجال، مقارناً ما بين الأساطير، وبين هذه الأخيرة والعلم نفسه، بهدف استكشاف مراحل تطور التفكير البشري.

عندما غدت أساطير الإنسان القبلي موضع الدراسة، أصبح معروفاً أن فلسفة الإنسان القديم حملت طابع الأساطير التي تشرح ألغاز الكون ضمن مجموعة من الحكايات يقصها

العجائز والأنبياء والكهنة. يتشارك موروث الحكمة بين البدائيين الأصول والمعاني والدلالات نفسها الواردة في موروث هسيود[1] وهوميروس[2]، لجهة كونها أساطير بالمعنى الأولي. ولكن أساطير الإنسان القبلي مجردة من فتنة الشعر وسحره، ولهذا فهي قد تبدو فظة وحشية بالمقارنة مع الأوذيسة مثلاً، ولا يمكن تصنيفها فلسفياً في أي مرتبة أعلى من قصص الجهلة وخرافاتهم والتي تدعى بالتراث الشعبي، ولذلك وبالتدريج أصبحت أمثال هذه الأساطير جزءاً من التراث الشعبي. وبالتالي فالفلكلور أو التراث الشعبي هو أساطير منقوصة المكانة، أو فلسفة مندثرة ارتدت قالب الأساطير. وفي أيامنا هذه فإن قصص الإنسان الهمجي[3]، والتي تفتقر إلى النبض الفلسفي الخلاق حسب تقييم الإنسان المتحضر أو المتعلم، تدعى اليوم بالتراث الشعبي (الفلكلور) أو الحكايات الشعبية. وتشكل هذه القصص الشعبية التي جمعها السيد كاشنغ، مجموعة ساحرة من الحكمة التي يؤمن بها قوم

(1) شاعر ملحمي يوناني يعتقد أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، تنسب إليه قصيدتان ملحميتان هما الثيوغونيا والمشاغل والأيام (م).

(2) المعروف، صاحب الإلياذة والأوذيسة (م).

(3) في زمن وضع هذا الكتاب وقبله كان من الرائج لدى الغرب استعمال مثل هذه الكلمة Savage في وصف القبائل الأفريقية أو قبائل الهنود الحمر (م).

زوني[1]، رغم أنها قد لا تكون تشكيلة ساحرة من حكايات قوم زوني الهزلية كما قد نذهب نحن إلى الاعتقاد. فقد ينظر عصر ما بعين السخرية إلى حكمة العصر الذي سبقه، وقد تبدو آراء الإنسان القبلي طفولية للإنسان المتحضر. إذن لماذا يتحتم علينا أن نبحث ونكتشف أفكاره؟

إن العلم الذي يسعى لمعرفة حقائق الكون، لا يتوقع أن نعثر عليها في الأساطير أو التراث الشعبي، وحتى أنه لا يعتبرها أساسية في التنميق الأدبي، على الرغم من أنها تخدم هذا الغرض جيداً. ولكن في عصرنا هذا يعتبر العلم الحديث الموروث الأسطوري شديد الأهمية لمعرفة مسار التطور الإنساني، تطور اللغات وأخيراً التطور في الآراء والمعتقدات. فتطور المعتقدات هو من الفصول الهامة في علم النفس، إذ لا يعود علماء النفس إلى الماضي بغية العثور على معتقدات راسخة بل ليعثروا على مراحل تطور تلك المعتقدات، وعلى هذا فإن للأساطير أو التراث الشعبي فائدة أساسية وأهمية عظيمة.

(1) Zuni: قوم زوني او اشيوي كما يسمون أنفسهم هم قبيلة من سكان امريكا الأصليين، تنتمي إلى شعوب «بويبلو» (كلمة مكسيكية تعني الدسكرة أو القرية أو الضيعة) Poeblo عاشوا (وما زالوا يعيشون) على ضفاف نهر زوني المتفرع من «نهر كولورادو الصغير»، في غربي ولاية نيو مكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية. وتبلغ مساحة مدينة زوني الراهنة 55 كيلومتر ويبلغ عدد سكانها 12000 نسمة 80 بالمئة منهم من قبيلة زوني، و43 بالمئة من سكان هذه المدينة هم تحت خط الفقر (م).

وبسبب عصا كاشنغ السحرية فإن الحكايات الشعبية لأهل زوني قد قدّر لها أن تصبح جزءاً من الأدب الحي في العالم، فهو شاعر على الرغم من أنه لا يكتب الشعر بالمعنى التقليدي للكلمة، ذلك أنه يمتلك القدرة على التفكير كما يفكر مبتدعو الأساطير، ويستطيع الحديث كما يتحدث الأنبياء، وفي وسعه الشرح كما يفعل الكهنة، وتتمتع قصصه بما يبدو أنه جوهر الأدب الشعبي القديم، كما أن تعاطفه مع أساطير الإنسان القبلي لا يحجب عن عقله حقائق العلم.

كانت آلهة زوني، كحال جميع البدائيين، أسلاف الحيوانات القديمة، لذا يتحتم علينا أن نفهم ونقدر من أعماق قلوبنا أفكارهم البسيطة كي نكون عادلين بحقهم. جميع الشخصيات هي حيوانات - بشرية، الوحوش، النباتات، النجوم، الأراضي، المياه والصخور، جميعها لها أرواح. الأرواح هي كينونات ضبابية قليلة الكثافة، أو كائنات غازية تستوطن أجساداً مادية. إنها جميعاً أشباح تمتلك أجساداً، وباستطاعتها مغادرة هذه الأجساد، وإن اكتشفت كينونات خالية فإن باستطاعتها الاستيلاء عليها. تعود القوة والعقل للأرواح، في حين تنتمي الأشكال الثابتة والوجود الثابت إلى المادة، و معاً تقوم الأجساد والأرواح

بتشكيل العالم. إن الكون عالم من الحيوانات، فالنجوم هي حيوانات مجبرة على الارتحال حول العالم عبر السحر. والنباتات هي حيوانات تخضع للسحر، حتى لا تتمكن من السفر. والمياه هي حيوانات مسحورة. والبحيرات تتلوّى ألماً بسبب الأمواج، والبحر يسافر في دوائر حول الأرض، و الجداول تجري حول الأرض. والجبال والتلال ترتجف بألم، ولكنها لا تستطيع أن تتجول في المكان، وقد يتسنى للصخور والجبال أن تتحرك ليلاً في بعض الأحيان.

انبثقت حيوانات العالم عبر سلسلة لا تنتهي من الأجيال، فكانت الأوائل آلهة تلقّب بالقدماء، أو الأوائل، والأجيال التي تلتها هي نسل الآلهة، ولكنها للأسف منحلة. إن مسرح العالم هو مسرح استحضار الأرواح، والآلهة هي صانعة المعجزات الأولى، تبقى الآلهة على قيد الحياة في حين أن نسلها يموتون، حيث أن الموت نفسه هو نتيجة ممارسة استحضار الأرواح من قبل أناس أشرار أو آلهة غاضبة.

في كل لغة من لغات الهنود الحمر، هناك مصطلح يعبر عن تلك القوى السحرية. فهي لدى القبائل الإيروكويانية[1] تدعى

(1) Iroquian Languages: إحدى لغات سكان أمريكا الأصليين (م).

أوريندا، وتدعى بعض تجلياتها لدى القبائل السيوانية[1] بـ (واكان أو واكاندا) ولكن المصطلح الأصلي في تلك اللغة هو هوبي. وتدعوها قبائل شاوشونيان بـ (بوكونت). ولنقم باستعارة أحد هذه المصطلحات وهو (أوريندا)، إذ تعزى جميع الظواهر التي لا تفسير لها إلى هذه الأوريندا التي تمتلك القدرة على الانتقال من ثعبان إلى سهم وبذلك يصبح السهم مسحوراً. ويمكن للثعبان أن يتمدد إلى جانب السهم ويمكن أداء طقس ما حتى تنتقل الأوريندا من الأفعى إلى السهم، أو قد يتم طبخ الثعبان كحساء من قبل عرافة ما ويغمس السهم في الشراب. لم يساهم إنسان بمفرده في تعميق فهمنا لمعتقدات الأوريندا كما تم الإيمان بها وممارستها من قبل قبائل الهنود الحمر مثلما فعل كاشنغ. وقد قام في منشورات أخرى بمناقشة هذا المعتقد بالتفصيل، وسعى في محاضراته إلى إبراز أشكال ممارسة هذا المعتقد وأدواته، والأواني التي تمارس فيه لها أوريندا (قوى سحرية) خاصة بها تحرّكها.

بينما كان أحد القدماء، أي أحد الآلهة، من الإيروكويان يخطط أنهار الأرض، باستعمال الأوريندا الخاصة به أو قواه السحرية، قرر أن يجعل جميع الجداول تجري نحو الأعلى في جانب من الأرض وتجري إلى الأسفل في الجانب الآخر، ولو

(1) Siouan: لغة أخرى من لغات السكان الأصليين (م).

أنه فعل ذلك لتمكن الإنسان من أن يطوف نحو الأعلى أو نحو الأسفل وفي الحالتين كان سيستطيع الانتقال من جانب إلى جانب آخر، ولكن أخاه الشرير تدخل وجعل جميع الأنهار على كلا الطرفين تجري نحو الأسفل، وهكذا فإن أوريندا (قوة سحرية) يمكن أن تهزم أوريندا (قوة سحرية أخرى).

عالمياً، يعتبر الإنسان القبلي أن الطيور المغردة تمارس أوريندا خاصة بها، وعندما يقوم البشر بالغناء فهم أيضاً يمارسون أوريندا، وهكذا فإن الأغنية تصاحب دوماً طقوس العبادة لدى الهنود الحمر، إذ يعتقدون أنه من الممكن إغراء الآلهة لتمنحهم نعمها عبر إسعادها بالغناء.

ويعزو الإنسان القبلي جميع الأمراض والأوجاع التي تصيب البشر إلى الأوريندا، وجميع الأساطير هي عن نظرية السحر. ومع ذلك فإن العديد من القبائل إن لم تكن جميعها، تعلّم في حكاياتها بعض الطرق لنقل الموت والأمراض إلى العالم، ولكنها الطرق التي تستطيع بواسطتها القوى غير الطبيعية أن تسبب المرض والموت.

يسمى الأنبياء والذين هم أيضاً الكهنة والأطباء (شامان) في الأدب العلمي. ولكنهم غالباً ما يلقبون بالأطباء في الأدب الشعبي. عادةً ما ينضم الشامان إلى طائفة، وغالباً ما يقوم بشرح الهدف من الطقوس التي تقوم بها القبيلة. غالباً ما يجد بعض الأفراد الوحي فينطلقون من أجل دعوة ما، أو يطردون الأمراض، أو يعظون ككهنة. إذا حصلوا على أتباع فقد يستطيعون ممارسة تأثير أكبر ويحصلون على احترام وتوقير كبيرين، ولكنهم إذا فشلوا فإن النظرة إليهم ستتحول تدريجياً من كهنة إلى عرافين وسحرة، وقد يتم اتهامهم بممارسة السحر الأسود وفي الحالات المتطرفة قد يحكم عليهم بالموت. جميع الهنود الحمر يؤمنون بقوة الشامان وبوجود السحر.

وغالباً ما تدعى أساطير الكون بأساطير الخلق، وفي بعض الأحيان جميع الأساطير التي تفسر شيئاً ما، حتى أقلها أهمية، تدعى أساطير الخلق. كل ظاهرة غريبة تمت ملاحظتها من قبل الهنود الحمر لها أسطورة وضعت لتشرح أصلها. قرن الثور، الرقعة الداكنة على ظهر الأرنب، عرف طائر أبو زريق، ذيل غراب العقعق، بريق الحرباء، جلجلة الأفعى، في الحقيقة كل

شيء يستدعي الانتباه يمنح قوة للأسطورة. ولهذا تبدو الحكايات الشعبية للهنود الحمر كأنها لا تنضب، ذلك أنه في كل لغة، وهناك المئات من اللغات، هنالك مجموعة مختلفة من الأساطير.

في جميع هذه اللغات نلاحظ تشابهاً غريباً في النظرة إلى الكون، وهو أنه مكون من مناطق أو عوالم. في موطن القبيلة تجتمع مجموعات من العوالم، واحد في الأعلى والآخر في الأسفل وأربعة أخرى واحد في كل من الجهات الرئيسية، أو ربما نستطيع وصفه بالعالم الرئيسي، العالم العلوي، العالم السفلي، العالم الشمالي، العالم الجنوبي، العالم الشرقي، والعالم الغربي. جميع حيوانات القبيلة، كونها حيوانات بشرية، حيوانات في شكل أشجار، أو ربما في شكل نجوم ومياه (أي الأجسام المائية)، أو حيوانات حجرية (أي الجبال والتلال والوديان والصخور) لها مكانها المناسب في العالم الأعلى، أو في العالم الأسفل أو في أحد عوالم الجهات الأصلية الأربعة، وإن تعايشها في العالم المركزي هو ما يفسر بعض أساطير الارتحال إلى هذا العالم. جميع الأجسام وجميع صفاتها لها منزل أو مكان مناسب للإقامة، حتى ألوان الغيوم وقوس قزح، وجميع الأشياء الأخرى على الأرض موزعة على ست مناطق قدمت منها إلى العالم الأوسط.

وربما نستطيع أن نتفهم بشكل أفضل عادات التفكير هذه إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى التراث الشعبي لهذه الحضارة. نحن لدينا ثلاث مناطق رئيسية: الجنة والأرض والجحيم. جميع الأشياء الجيدة تأتي من الجنة، وجميع الأشياء السيئة تأتي من الجحيم. صحيح أن أمثال هذه النظريات الكونية ليست مستحبة عند العلماء. ذلك أن رجلاً متنوراً يفكر في الخير الأخلاقي كحالة عقلية لدى الفرد وميزة من ميزات روحه، ويعتبر الشر الأخلاقي كصفة من صفات الإنسان غير الأخلاقي، ولكن يبقى الأمر عالمياً حتى إن أكثر مفردات الكلام ذكاءً ترمز إلى الجنة على أنها مكان الخير، وإلى الجحيم على أنه مكان الشر. والآن إذا عمدنا إلى توسيع هذا المفهوم كي نحدد أماكن المناطق المناسبة لجميع الأجسام والصفات، سنستطيع فهم النظرية الكونية للهنود الحمر.

إن الدين البدائي لكل قبيلة من قبائل الهنود الحمر هو عبارة عن نظام إغراء للقدماء ليتخذوا دوراً في العلاقات البشرية. وإن عبادة الآلهة هي نظام مصمم لإرضائها، كي يجيروا الأمور لصالح البشر، وخصوصاً لصالح أفراد القبيلة الذين يعبدون هذا الإله. لن يكون الوقت كافياً لأخبركم عن

النشاطات المتعددة في الحياة القبلية والمصممة لهذا الهدف، ولكن يمكن ذكر بعضها. إن أول هذه النشاطات وأكثرها أهمية هي طقوس الرقص والاحتفالات. الغناء والرقص شيء عالمي، والمهرجانات تقام في مواعيد وأماكن محددة من قبل كل قبيلة. تخصص ليالي الشتاء الطويلة للعبادة بشكل كبير، ويتم وضع أسس تسلسل الاحتفالات، حتى تتم إقامتها في المواسم المناسبة لعبادة الآلهة. وبالتالي فإن هناك أياماً احتفالية لمناشدة المطر، وللشكر على النعم وعلى الحصاد التي أتي به إلى المنزل. وفي الأراضي التي تكون فيها الجنادب ضمن الأطعمة الهامة، فهناك احتفالات للجنادب، وحيث الذرة هي من الأطعمة الرئيسية فهناك احتفالات الذرة الخضراء، وعندما يكون للثور دور هام في غذاء القبيلة فهناك رقصات تكرس للثيران. وهكذا، نجد أن هناك مهرجانات أو رقصات مكرسة للدببة أو الظباء، والكثير من المهرجانات الأخرى التي نراها في تنقلنا من قبيلة إلى أخرى، وجميعها تقام في أوقات محددة توضحها إشارات الفلك. كما نجد لدى القبائل الأعلى تقاويم تفصيلية نستطيع من خلالها أن نحل ألغاز كتاباتهم التصويرية.

إن ممارسة الطب من قبل الشامان هي دعوة توجه للآلهة لإخراج الأرواح الشريرة من المرضى أو إخافتها حتى تغادر. وباستخدام الموسيقى والرقص فهم يحصلون على مساعدة القدماء وبوجود العديد من الطرق والأساليب يقومون بإبعاد الكائنات الشريرة، وهم يلجأون عادة إلى الأضاحي و الكي، خاصة إذا كان المريض يعاني قدراً كبيراً من الآلام الموضعية. وتؤمن جميع قبائل الهنود الحمر إيماناً راسخاً في الإشارات، ويستخدمونها في إعداد التعاويذ كدواء يبعد الأمراض والأشباح التي تؤدي لمرض قومهم.

يلي مزاولة العبادة بالرقص والغناء في الأهمية عبادة الهيكل. ذلك أن الهيكل هو فراغ على الأرض، أو منصة يتم رفعها فوق الأرض أو كيفا (Kiva) أو مقر اجتماع القوم. وحول الهيكل يجتمع الكهنة ومساعدوهم، وهنا تقام الصلوات وتؤدى الطقوس بمساعدة مختلف أنواع قطع الهيكل، خاصة أدوات الكتابة التصويرية على الخشب، والعظام، أو جلود الحيوانات. تتألف قطع الهيكل من تماثيل عن الأشياء التي تقدم من أجلها الأضاحي، سنابل الذرة أو أوعية الطعام، وأباريق مياه، وأجزاء من الحيوانات التي تؤكل، مثل كعك الجنادب، أو أوعية العسل،

أو أي نوع جيد من الأطعمة، ثم البلورات أو أجزاء من الصخور لتوحي بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة قاسية، أو أوعية العسل لتوحي بأنهم يرغبون أن تكون الذرة حلوة، أو قد يضعون بعض الذرة متعددة الألوان ليوحوا بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة في هذا العام متعددة الألوان. وهذا له أهمية كبرى بالنسبة للطلاب الذين يدرسون الأعراق البشرية فيما يخص نمط الكتابة التصويرية المعروضة حتى الآن في الهياكل. وفي هذا الكثير من التنوع في الأشياء التي قد يرغبون فيها وتنوع أكبر في خصائص وميزات هذه الأشياء والتي تمثلها الصور التوضيحية، أو التماثيل الصلصالية، أو المحفورة في الخشب والعظام. يعود الفن التصويري، مثل الرسم والنحت، في أصوله إلى الإنسان القبلي من خلال تطوير قطع الهيكل. وكذلك فإن التمثيل مأخوذ من العبادة البدائية، ومثلهما فإن الطب الحديث تم تطويره من الشعوذة.

ونجد لدى الهمجيين أسلوباً آخر للعبادة ولكنه أكثر تطوراً لدى البرابرة[1]، ويتمثل بعبادة القرابين. فقد تطورت أجزاء

(1) لعل التمييز بين «الهمجيين» و«البرابرة» يعود إلى أن الفئة الأولى هي مجرد فئة بدائية متخلفة عن ركب الحضارة (بنظر الغرب ومقارنة به) أما الفئة الثانية فهي التي تمارس ممارسات وحشية مثل الأضاحي البشرية التي يأتي صاحب المقدمة على ذكرها، لكن يجدر القول إنه خلال القرن المنصرم جرت الكثير من الدراسات التي تؤكد على سبيل المثال أن الهنود الحمر لم يعرفوا ممارسة القرابين، وخاصة البشرية منها، مثلما كان شائعا عنهم (م).

المذبح والتراتيل المسرحية في المرحلة الدنيا تدريجياً لتصل إلى مرحلة القربان في الحضارات الأعلى، وفيها يفترض بالعباد أن يزودا القدماء أنفسهم بالطعام والشراب ومتع الحياة. وقد بلغت هذه المرحلة أوج تطورها في المكسيك، خاصة في قبائل ناهو أو الأزتيك، حيث كان يتم تقديم البشر كقرابين. وبشكل عام، بين الهنود الحمر لم تكن القرابين فقط ما يقدم إلى الهيكل بل كذلك الطعام والشراب الذي يستخدمونه. وهكذا نرى أن المجموعة الأولى من الأشياء المصممة للاستهلاك تم تخصيصها للآلهة. وهناك في قارّة أمريكا العديد من الأمثلة عن هذه الأديان الوثنية، والتي أثرت بشكل ما في المعتقدات وفي العبادات المشتقة من الدين الذي له أصول مسيحية.

في التاريخ المبكر لعلاقة الرجال البيض مع قبيلة سينيكا في نيويورك وبنسلفانيا، كان لدى القبيلة شامان محترم يدعى «البحيرة الجميلة»، كما تُرجم اسمه إلى الإنجليزية. كان لدى هذا الشامان ابن أخ أخذه الإسبان إلى أوروبا وعلموه ليكون قساً. وعندما عاد ابن الأخ إلى أمريكا قص على عمه الكثير من قصص الكتاب المقدس، إلا انه سرعان ما عاد إلى وثنيته، وقام العم بدمج بعض هذه القصص في القصص الشعبية لقبيلة سينيكا،

ومن خلال فصاحته وتأثيره الكبير كشامان نجح في تأسيس نهج جديد في قبيلة السينيكا كمذهب وعبادة. وهذه القبيلة الآن تنقسم إلى هيئتين متميزتين تعيشان معاً ضمن محمية واحدة، يشكل المسيحيون أحداهما ويشكل الوثنيون القسم الآخر، وهم يؤمنون بمذهب "البحيرة الجميلة" ويدرسونه.

قدم السيد كاشنغ حكاية هجينة ضمن مجموعته، عنوانها «الديك والفأر» ويمكن أن نجد مثل هذه الحكايات كثيراً بين الهنود الحمر. في العديد من الحالات سنرى أن القصص المستوحاة من الكتاب المقدس قد اندمجت مع القصص الأصلية، وبذلك قد ينقاد الغافلون للاعتقاد أن الهنود الحمر هم سلالة القبائل العبرانية الضائعة.

ج. و. بويل[1]

مدينة واشنطن

تشرين الثاني 1901

(1) جون ويسلي باول (1834–1902): مستكشف أمريكي (م).

كيف سرق أهايوتو وماتسيليما حجر الرعد وقضيب البرق

عاش آهايوتو وماتسيليما مع جدتهما في المكان الذي يوافق حالياً نصب الأضاحي القديم الأوسط على جبل الرعد.

في يوم من الأيام ذهبا لاصطياد كلاب المروج، وبينما يركضان من قرية لكلاب المروج إلى أخرى، بدأ يهطل المطر، مما جعل الطريق زلقة والأرض طينية، فشعر الصبيان ببعض الحنق. فجلسا لبرهة قصيرة يشتمان المطر. في الجنوب أرعدت السماء حتى ارتجت لها الأرض، وطارت سهام البرق حول الغيوم ذات الأطراف الحمراء حتى كاد الأخوان أن يصابا بالعمى من كثرة التحديق بها. وسرعان ما مسد الأخ الأصغر حاجبيه وقفز وهو يهتف بسؤال يحمل بعض التجديف: «يا أخي الأكبر، دعنا نذهب إلى أرض الصيف الدائم ونسرق من الآلهة في المجلس هناك رعدهم وبرقهم. أظن أنه سيكون من الرائع النظر إلى مثل ما كنا نستمتع بالنظر إليه وسماع ما استمتعنا بسماعه».

كان الأخ الأكبر أكثر حذراً، ولكنه بشكل عام أعجب بالفكرة، لذلك قال: «فلنأخذ ما اصطدناه من كلاب المروج إلى جدتنا، فيكون لديها ما تأكله في تلك الأثناء، ثم نمضي إلى هناك غداً صباحاً».

في الصباح التالي، مبكراً جداً، بدأا رحلتهما. نادت الجدة العجوز عليهما دون جدوى: «إلى أين ستذهبان الآن؟» ولم تكن راضية عن الإجابة التي تلقتها عندما قالا: «نحن ذاهبان لاصطياد المزيد من كلاب المروج».

بدا ذلك صحيحاً للوهلة الأولى، فقد تسكعا قليلاً في السهول المحيطة بجبل الرعد، كأنهما يبحثان فعلاً عن كلاب المروج. ثم وباستعمال أقدامهما العجيبة الرشيقة، أسرعا نحو بلاد المرجان الجميلة، أرض الصيف الدائم.

أخيراً، وصلا إلى منزل الآلهة المحبوبة نفسها، وقد يكون هذا في جبال تلك البلاد، حيث يقال إنها تتوهج مثل أصداف البحر أو غيوم الغروب. وكان ذلك المنزل الأحمر عبارة عن شرفة رائعة، ترتفع درجة إثر أخرى وجداراً بعد جدار، مثل جبل كبير ينهض بجلال، وكانت الجدران ناعمة جداً وعالية جداً لدرجة أن المهارة والقوة اللتين امتلكهما

إلها الحرب بدت عديمة الجدوى، فلم يتمكنا من الدخول.

سأل الأخ الأصغر: «ما الذي علينا فعله؟».

قال الأخ الأكبر: «نعود إلى المنزل، ونهتم بشؤوننا».

جادل الأخ الأصغر: «لا، لدي فكرة، فلنعثر على جدنا الحشرة ذات الأربع والأربعين ساقاً».

أجاب الأخ الأكبر: «جيد، إنها فكرة سديدة منك يا أخي الأصغر».

وضع الأخوان جانباً أقواسهما وكنانتيهما المصنوعتين من جلد أسد الجبل، ودروعهما والأشياء الأخرى التي كانا يحملانها، وبدآ الدوران حول كل الحجارة المسطحة التي استطاعا العثور عليها. وسرعان ما عثرا على العجوز الذي يريدانه تحت إحدى الحجارة التي رفعاها معاً. انثنى على نفسه وغطى عينيه من قوة ضوء النهار، ولم يعجبه أن يتم إزعاجه هكذا حتى من قبل حفيديه، إلهي الحرب، في منتصف قيلولته، ولم يكن مهذباً معهما بأي صورة من الصور. ولكنهما لكزاه قليلاً في جانبه وقالا: «والآن يا جدنا، انظر إلينا! نحن في ورطة، ولا يوجد أحد غيرك في العالم الضاري يستطيع مساعدتنا كما تستطيع أنت».

شعر العجوز بالإطراء، فاسترخى ونظر إليهما نظرة تعمد أن تكون تأنيبية ومتعالية، وقال: «يا حفيديّ! ما الذي تنويان فعله الآن؟ هل تحاولان الوقوع في المتاعب كالعادة؟ لا شك في ذلك! سأساعدكما قدر استطاعتي ولكن ستتحملان وحدكما عواقب ذلك».

قال أحدهما: «هذا صحيح، يا جدي، هذا صحيح! لا أحد في العالم كله يستطيع مساعدتنا مثلك. في الحقيقة نريد الحصول على حجر الرعد وسهم البرق اللذين يحتفظ بهما إله المطر بعناية شديدة هناك في ذلك المنزل الضخم. لهذا، نحن نعلم أننا لا نستطيع تسلق السور، وثانياً، إذا تمكنا من ذلك فسنواجه مشكلة معه في محاولتنا لسرقة هذه الأشياء. لهذا، نريد منك أن تساعدنا، إذا كنت ترغب بذلك».

«سأساعدكما من كل قلبي يا ولديّ! ولكن سأنصحكما بأن تعودا بسرعة إلى المنزل وإلى جدتكما وأن تدعا هذه الأشياء وشأنها».

«لا، هذا هراء! سنلعب قليلاً فقط بالرعد والبرق، هذا كل ما في الأمر».

قال الدودة العجوز: «حسناً، اجلسا هنا وانتظراني». تلوى ومشى مبتعداً، وبدت أرجله التي لا تحصى أكثر عدداً بكثير من سابق عهدها نتيجة حركته السريعة وهو يجري نحو أسوار تلك الشرفة الجليلة. لم يكن حتى لنبات الكرمة أن يتسلق ذلك الجدار هكذا، أو لعصفور أن يعلوه بهذه السرعة، فإن انزلقت إحدى أرجل العجوز، ثبتته أخرى. وهكذا ثنى نفسه على جوانب السور حتى بلغ السطح وصولاً إلى كوة السقف، وأهمل السلم فقد خشي أن يصدر صوتاً. وهكذا مضى قدماً ورأسه نحو الأسفل، على السقف نحو نهاية الغرفة، فوق المذبح، وأسرع بالنزول من الجانب، واقترب من أكثر الأماكن حرمة، مذبح الآلهة. كانت الآلهة المحبوبة في صمت ملكي تجلس ورؤوسها منحنية في تأمل عميق، حتى إنها لم تسمع وقع أقدام الحشرة وهي تقترب من المذبح وتسرق حجر الرعد. وضع العجوز الحجر في فمه، والذي كان أكبر من أفواه الحشرات التي نعرفها اليوم، وحمله بهدوء، ومن دون أثر يذكر، عاد به من الطريق التي جاء منها، فوق السقف، وهبط السور إلى الحجارة المسطحة التي كان قد اتخذها منزلاً له، حيث كان ينتظره الإلهان الشابان غير القادرين إلا بالكاد تمالك نفسيهما.

صرخ الأخ الأصغر: «ها هو آت! ولقد حصل عليه! قسماً بقلنسوة الحرب خاصتي، لقد حصل عليه!».

ألقى الجد العجوز بالحجر من فمه، وبدأ يصدر صوتاً، ولكن آهايوتو التقطه، وبدا يهلوس بكلام غير مفهوم قال: «جيد، جيد، شكراً لك يا جدي العجوز، شكراً لك!».

قال الأخ الأصغر: «مهلاً، مهلاً! أنت لم تجلب الاثنين. ما الذي نستطيع أن نفعل بواحد من دون الآخر؟».

صرخت الحشرة العجوز: «اصمت! أنا أعرف ما الذي أفعله!»، وقبل أن يتمكنا من قول كلمة أخرى انطلق مجدداً. وقبل أن يمر وقت طويل عاد وهو يحمل في فمه سهم البرق الذي تتوسطه نقطة زرقاء متلألئة.

صرخ إلها الحرب: «حسن»، وأمسك الأخ الأصغر بالبرق، وكان على وشك أن ينسى أسلحته، إلا أنه توقف في النهاية وأخذها، وبدأ يجري نحو جبل الرعد، وتبعه شقيقه الأكبر، الذي كان يعادله في اهتمامه رغم أنه أكثر تأنياً وروية، وهو الذي حمل حجر الرعد ذي الوزن الأثقل.

ولم يمض وقت طويل، كما قد نتخيل، فقد كان هذان الإلهان عظيمي القوة، وقبل أن يصلا إلى منزل جدتهما على قمة جبل الرعد. وفي تلك الأثناء قاما بإخفاء حجر الرعد وسهم البرق بعناية، وشرعا في الصيد ليتزودا ببعض كلاب المروج كنوع من التمويه.

في تلك الأثناء كانت آلهة المطر ما زالت في منزلها في جبال أرض الصيف الأبدي غارقة في تأمل عميق غير مدركة لما حدث. ولكن لم يطل الوقت كثيراً بعد وصولهما، حتى بدأ الإلهان الشابان يشعران بالفضول والحماسة لتجربة ألعابهما الجديدة. ولكزا بعضهما كثيراً، وتهامسا كثيراً، حتى بدأت جدتهما تشك بأنهما على وشك القيام بمزحة مزعجة، وسرعان ما اكتشفت النقطة المتلألئة تحت سترة ماتسيليما القذرة.

صرخت الجدة بقسوة شديدة: «بحق الشياطين والأموات! بحق القمر! قمتما بسرقة حجر الرعد وسهم البرق من آلهة المطر نفسها! اذهبا فوراً وأعيداهما، وإياكما أن تقوما بشيء كهذا مرة أخرى!» واتجهت بسرعة نحو الموقد والتقطت قضيب النار وألهبت به ظهريهما، وعندها هربا من الغرفة إلى غرفة أخرى. وأغلقا الباب بإحكام في وجه جدتهما، وأخليا من طريقهما

الكثير من سقط المتاع الذي كان متناثراً في الغرفة النائية من المنزل، ثم وجدا لنفسيهما مكاناً في أحد أطراف الغرفة، وهزا رأسيهما وغمزا بعضهما ثم قالا: «الآن، إذن». أطلق الأخ الأصغر سهم البرق، ودحرج الأخ الأكبر حجر الرعد. وهسهس البرق في الهواء وانطلق بعيداً نحو السماء وعاد، وتدحرج حجر الرعد ودمدم حتى هز أساسات الجبل. وصرخ الشابان وهما يضربان فخذيهما في نشوة وابتهاج: «هذا رائع! فلنفعلها ثانية!» ومرة أخرى أطلقا سهم البرق ودحرجا حجر الرعد.

حينئذ نهضت الآلهة بجلالة قدرها في أرض الصيف الأبدي، وانطلقت عبر السماوات، واشتدت الرياح، وهطل المطر من الغيوم مثل الأنهار، وقد تركز عنف كل تلك القوى على سقف منزل الجدة العجوز المسكينة. وبعناد شديد استمر الشقيان المتهوران بالعبث بحجر الرعد وسهم البرق بلا أدنى انتباه إلى الاضطراب الهائل الذي كانا يحدثانه في السموات وفوق جبل الرعد، غير أن وابل المطر لم يكن ليسقط في أي مكان آخر إلا حيث عاشت جدتهم العجوز، وهناك فقط لمع البرق وزمجر الرعد.

وسرعان ما بدأ الماء يدلف من سقف المنزل، ولم تستطع الجدة العجوز إبقاء الأشياء جافة بإبعادها، وبالرغم من توبيخها الشديد للشابين إلا أنها لم تستطع ردعهما. فقد استمرا باللعب أكثر من ذي قبل وهما يتساءلان: «ما الذي لديها لتقوله، على أي حال؟ لن يضرها الانحناء قليلاً. هذا ممتع جداً!» وقليلاً قليلاً ارتفعت المياه حتى أطفأت النار، وسرعان ما ارتفعت أعلى من ذلك حتى اضطر الأخوان إلى التحرك وهما مغموران بالمياه إلى نصفهما، ولكنهما رغم ذلك استمرا في دحرجة حجر الرعد وإطلاق البرق. وبختهما الجدة بشدة أكثر، ولكنها بعد فترة تخلت عن ذلك وتسلقت إلى أعلى موقد النار، وهناك وبعد أن استردت قواها، بدأت بتأنيبهما مرة أخرى. ولكن الشابين لم يستمعا إليها، بل قالا: «دعها تصرخ! دعها توبخنا! هذا ممتع!». في النهاية بدا أنهما يأخذان توبيخ الجدة على أنه أمر طبيعي، ولم يسمحا لشيء خلا الماء بمقاطعة مرحهما، الذي بدأ بالارتفاع حتى كادا يغرقان وعندها صعدا إلى السقف، واستمرا فيما يفعلانه.

قال أحدهما للآخر: «بحق عظام الأموات! لماذا لم نفكر بالصعود إلى هنا من قبل؟ إن المتعة هنا أكثر بعشر مرات من الأسفل، رؤية البرق وهو ينطلق!». بينما أسرع البرق خلال السماء، ودائماً ما يعود».

قال الآخـر: «اسمعه يدمدم ويزمجر». بينما زمجر الرعد ودمدم.

وطالت لعبة الشابين على السقف، وانهمر المطر بشدة حولهما، ولم يطل الوقت حتى امتلأ المنزل بالماء حتى إن الجدة العجوز، حجزت في مكانها، فجاهدت لتبقي رأسها عالياً فوق الماء. ابتلعت الجدة الماء، ولهثت وسعلت واختنقت وهي تصرخ من دون جدوى.

صرخ الصبيان: «يا لها من ضجة تلك التي تصدرها جدتنا، هذا مؤكد!»، ولكنهما استمرا فيما يفعلانه حتى امتلأت الغرفة تماماً بالماء واختفت صرخات الجدة. وأخيراً أصبح حجر الرعد رهيباً جداً، وغدا سهم البرق ساخناً جداً وبات من الصعب التحكم به، وعندها أخذ الصبيان نفساً عميقاً وهما يشعران بالرضا الكبير عن المتعة التي حصلا عليها، وربما تأثرا بأمر المنزل الذي بدأت جوانبه بالتداعي، وقذفا حجر الرعد وسهم البرق إلى السماء حيث قعقعا ولمعا حتى اختفيا أخيراً فوق جبال الجنوب.

ثم انسحبت الغيوم وأشرقت الشمس، وكان الشابان مبتلين حتى عظامهما، ومتعبين تماماً، وجائعين كذلك، ونظرا حولهما

وقالا: «يا الهي! إن الماء يجري من نوافذ المنزل! هذه ستكون مشكلة كبيرة مع جدتنا!» وبدأا بالصراخ: «جدتي! جدتي! افتحي الباب ودعينا ندخل!»، ولكن الجدة العجوز قد صاحت بأكثر ما تستطيع وهما يلعبان ولم يصدر أي صوت من الداخل ما عد صوت الماء الجاري. وجلسا على السقف وانتظرا أن ينخفض منسوب الماء، ثم نزلا إلى الأسفل وفتحا الباب بعنف، واندفع الماء بجلبة شديدة إلى الخارج، ورأيا لدهشتهما جدتهما المسكينة، وعيناها مفتوحتان، وشعرها مشعث ملطخ بالطين وأصابعها وقدماها متيبسة كأغصان السدر.

تعجب الصبيان: «يا للهول! أيتها الآلهة! لقد قتلنا جدتنا، يا جدتنا المسكينة، يا من وبختنا بعنف وأحبتنا بشدة! فلندفنها هنا أمام الباب، ما إن ينساب الماء بعيداً».

وما إن جفّت الأرض بما فيه الكفاية، حتى دفنا جدتهما، وفي أقل من أربعة أيام، نمت نبتة غريبة فوق تلك البقعة، وعلى أغصانها الصغيرة، وبين أوراقها الخضراء، تدلت قرون من ثمار مدببة الرأس، حمراء بلون النار كالتي نراها على صدر الطائر الأحمر.

وذات يوم قال الصبيان وهما ينظران إلى النبتة: «حسن جداً، فلننثر البذور بعيداً، لكي يعثر عليها البشر ويقوموا بزراعتها. يبدو أنه لم يذهب سدى هجرنا للعبتنا وقتلنا لجدتنا العجوز، فقد خرجت من قلبها نبتة ذات ثمار حمراء كنيران لسانها الذي كانت توبخنا به، وان كنا قد خسرنا جدتنا التي أحببناها كثيراً والتي أحبتنا أكثر، فقد كسب البشر طعاماً جديداً، والذي على الرغم من أنه يلسعهم فإنه سيمتعهم أكثر مما أمتعتنا حرارة أحاديثها. يا جدتنا العجوز المسكينة! قليلاً ما يحلم البشر وهم يأكلون الفلفل الحار بأن بذوره الأولى قد نمت من القلب الناري لجدة آهايوتو وماتسايليما».

وقام الاثنان بجمع الثمار وسحقوها بأيديهما وهما يتعجبان من متعة النكهة الحادة التي تمنحها تلك الثمار. ونثرا الثمار بعيداً، فتجذّرت هنا وهناك، وعثر البشر على النباتات التي نمت منها، واعتبروها جيدة وحصدوها كما هي الحال حتى اليوم في بساتين الفلفل في زوني. ومنذ ذلك الحين نسمع أن ذلك الجبل حيث عاش الإلهان مع جدتهما قد سمي بجبل الرعد، وغالباً إلى يومنا هذا، يلمع البرق ويزمجر الرعد فوق ذلك الجبل ويسقط المطر هناك كثيراً.

ومما يقال إن الصبيين عندما سئلا عن الكيفية التي سرقا بها حجر الرعد وسهم البرق، أفشيا سر جدهما العجوز المسكين، الحشرة ذات الأربع والأربعين رجلاً. فأعطته آلهة المطر المحبوبة سهم البرق ليمسكه بطريقة مختلفة، مما أحرقه وجعله أجعداً، وغدا صغيراً جداً.

وإننا نلمس ذلك عندما ننظر إلى سلالته التي لا تعد، والذين ليسوا فقط صغار الحجم بل ويبدون مثل جلد غزال محمص، ومهدب عند الأطراف.

وهكذا تنتهي حكايتي.

المحارب الخاطب من موكي

سأقص عليكم قصة حدثت في زمن الأقدمين، فاستمعوا أيها الفتية والشبان، واستخلصوا العبرة مما سأخبركم إياه، فشبان أمتنا هذه الأيام قد أصبحوا أقل قوة من الأجيال التي سبقتهم، وإلا ما كان ليحدث ما سأحكيه لكم.

إنها قصة عارنا التي جرى تداولها على الألسن منذ عدة أجيال ليست بالكثيرة، عن الشاب الفقير المنبوذ والبغيض الذي عاش في موكي، ولم يكن أحد ليفكر فيه كبطل أسطوري، بالرغم من أنه بطل قصتنا هذه. كان هذا الشاب يعد في المرتبة الأدنى بين رجال موكي في تلك الأيام، مع أنه استطاع وحده التسبّب بحزن كبير لأمة زوني.

أما ما حدث فهو أنه في والبي، على الأجمة الأولى من موكي، عاشت فتاة فاتنة فائقة الجمال، كان وجهها مشرقاً وعيناها براقتين، وخداها حمراوين مثل نبتة عضها الصقيع[1]

---

(1) نبتة الأليكة، أو الحشائش (م).

وشعرها غزيراً وناعماً أسود وتجعله في شكل خصل كبيرة خلف أذنيها، خصل أكبر مما لباقي الفتيات في مدينتها أو موطنها، وقد اقتنت من الأشياء الجميلة بقدر ما امتلكت من الخصال الحميدة.

فليس هناك ما يدعو للعجب في أن يتيم شباب موكي بها، وأن ينشدوا باستمرار وبكثير من العجلة نيل حظوتها والاستحواذ على مشاعرها! إلا أنها بقيت تعرض عنهم. إذ تهز رأسها بابتسامة رقيقة وتجيب الجميع، كما ترد على نصائح الشيوخ في قبيلتها: «أريد إما بطلاً أو لا أحد! أي من هؤلاء الشبان قد يفوز بمحبتي إذا رغب في إثبات مقدرته عندما يحين الوقت وهل هو رجل في إهاب بطل أم لا؟».

لذلك قدمت الفتاة اقتراحاً، فقالت لجميع الشبان الذين أتوا لطلب يدها: «إن شعبنا في حال عداء مع زوني، التي تقع بعيداً نحو الغرب فوق تلك الجبال. إذا كان فيكم من هو قوي الجسد وثابت العزيمة وشجاع الإرادة فعليه الذهاب إلى زوني وقتل رجالها، أعدائنا، وأن يجلب معه ليس فقط أدلة على شجاعته بل تقدمة أيضاً إلى مجتمع المحاربين من شعبنا، فيحضر معه جماجم الأعداء بأعداد كبيرة. إنه الرجل الذي سأعجب به حتى أطراف رموش عيني، من سأرعاه بكل قوتي، ومن سأجعله زوجي، وبهذا الزوج سأفتخر!».

ولكن أغلب الخاطبين الشبان ذوي الوسامة والذين أزعجوها بإلحاحهم، كانوا يغادرون مكتئبين لدى سماعهم لهذا الطلب، فبالرغم من كل شيء فإن محبتهم للفتاة كانت أقل بكثير من خوفهم من محاربي زوني، فكم انحطوا يا للعار! ومرت الشهور. ولم يأت خاطب واحد من هؤلاء الذين ذهبوا إلى منزل الفتاة ممتلئين بالحب ليعود إلى البيت بقدر مماثل من الجرأة.

وأخيراً، سمع الشاب المنبوذ الذي ذكرته في أول القصة، والذي لم يكن أحد يحادثه، ولم يكن يعيش في منازل قومه، فقد وجد راحته في القذارة والملابس الرثة مع الكلاب والصقور والحيوانات الأخرى التي استأنسها الإنسان، سمع هؤلاء المحبين المرفوضين يتحدثون مع بعضهم من وقت لآخر ويتساءلون: «إنها فتاة رائعة بحق، ومن أجلها قد يخاطر أحدنا منفرداً ضد شعب سيطر على البشر منذ القدم! ولكن لا! فرغم أنها أجمل النساء، لكنني لا أهتم لأمرها وفق شروط كهذه». فأيده الباقون: «و لا أنا ولا أنا».

وبعد أن سمع هذا الحديث اتخذ الشاب أكثر القرارات وقاحة وجسارة في حياته، بأنه هو ولا أحد غيره سيخطب تلك الفتاة.

في إحدى الليالي ذهب إلى منزل والد الفتاة، متسخاً كما

هو، بشعر أشعث، وأظافر طويلة وجسد قاس من كثرة التعرض لعوامل الطبيعة، هزيلاً ومتعباً مثل كلب قوي أسيئت معاملته.

ونادى عليهم لدى وصوله إلى مدخل المنزل من الأعلى.

وأجاب من الداخل: «من هناك؟».

تساءل الشاب: «هل أنتم في الداخل؟»، بطريقة دمثة ونبرة واضحة ولهجة حديث مؤدبة جعلت الناس يتوقعون رؤية شاب رائع يهم بالدخول عليهم ليتقدم بطلب زواجه من ابنتهم.

وعندما قالوا: «ادخـل»، وبـدأ ينزل السلم إلى الغرفة المضاءة، دهشوا كثيراً لرؤية هذا المتشرد عوضاً عمن توقعوه، وبالرغم من ذلك حياه الشيخ بأدب وسرور وأرشده إلى حيث يجلس بجانب الموقد، وطلب من النساء أن يحضرن له الطعام. ومع أن الشاب لم يتذوق طعاماً جيداً منذ أيام عديدة ولم يأكل وجبة كاملة منذ زمن، لكنه لم يأكل كثيراً، وما إن انتهى من طعامه حتى لبى دعوة الشيخ للتدخين وحديث المساء.

وأخيراً سأله الشيخ عن السبب وراء قدومه، فأخبره الشاب بأنه سمع الشروط التي تفرضها ابنته على من يتقدمون لخطبتها، وقد خطر له أنه سيكون سعيداً بالمحاولة، وقد تكون مزاياه قليلة حقاً ولكن حبه كبير جداً.

استمع الشيخ بابتسامة عميقة، وبرغم من كره الفتاة السابق له فقد بدا لها أن هناك شيئاً غريباً حوله، فبعد أن سمعت صوته والذي غيّر رأيها فيه، كانت سعيدة جداً في قرارة نفسها لهذا العرض غير المسبوق. ولهذا فعندما سئلت عن رأيها في الأمر، وضعت شروطاً أكثر قسوة أمامه فقط لتختبر جديته في الأمر وقالت: «استمع إلي أيها الغريب! إذا قمت وحدك بقتل بعض المحاربين العنيفين من زوني وأحضرت معك إلى المدينة، لمتعة محاربينا وأهلنا، عدداً من جماجمهم، سأتزوجك بالتأكيد، كما قلت للآخرين».

رضي الشاب بهذا كلياً وتمنى لهم ليلة سعيدة ومضى في الظلام.

لم يكن هذا الشاب مسكيناً وعاجزاً كما يبدو، بل كان في الواقع أحد أروع المخلوقات على وجه الأرض، فبالرغم من أنه قد عاش منذ طفولته مع الكلاب والصقور والحيوانات الأسيرة

الأخرى في أراضي موكي، لكنه بفضل ذلك التواصل الطويل معها تعلم طرقها ولغتها واكتسب صداقاتها وولاءها كما لم يفعل بشري آخر من قبل. لم تكن له عائلة، ولا من ينصحه، ما عدا تلك العائلة الكبيرة من الكلاب والحيوانات الأخرى التي كان يعيش معها.

ماذا تتوقعون أنه فعل؟ لقد ذهب إلى كل حفرة وركن في المدينة ونادى على الكلاب أن تنضم إليه في مجلس. وقبل انبلاج صباح تلك الليلة بقليل، أجاب نداءه كل كلب في المدينة، ثم اجتمعوا عند الأجمة التي تقع عليها والبي، على إحدى تلك الضفاف المنحدرة التي يضيئها القمر، ولدى اجتماعهم أحدثوا جلبة عالية بصراخهم ونباحهم والضوضاء الأخرى التي اعتدنا على سماعها من الكلاب في الليل. وكان العرض الذي قدمه الشاب لهذا المجلس كالتالي:

«أصدقائي وإخوتي، أنا على وشك المضي في طريق الحرب إلى مدن زوني عند شروق الشمس. وإذا نجحت، فستكون جائزتي عظيمة. الآن، أنا أعلم من حياتي بينكم، وكوني واحداً منكم لفترة طويلة أن هناك شيئين هما الأكثر تقديراً في حياة الكلاب. وجبة جيدة وأن يترك وشأنه. وأظن أني أستطيع أن آتي

لكم بهاتين الجائزتين، إذن وبعد أربعة أيام من الآن، وبعد أن أجهز لكم ما يكفي من الطعام، سترغبون بالاشتراك معي في الحرب التي سأشنها ضد زوني».

رحبت الكلاب بهذا العرض بهتاف صاخب وانفض المجلس بعدها.

في اليوم التالي مع اقتراب المساء، حضر الشاب ثانية إلى منزل الفتاة، وقال لعائلتها: «أصدقائي، أنا كما تعلمون أو كما ترون فقير جداً، ولا أملك منزلاً أو مصدراً للطعام، ومع ذلك فأنا أتوقع أن أغيب طويلاً في هذه الرحلة، ولأني لا أمتلك القوس والسهام ولا أجيد استعمالها، فقد أتيت بكل تواضع لأطلب مساعدتكم. سأقوم بما طلبتموه مني، ولكن لكي أتمكن من القيام بذلك بسهولة أكثر، أتمنى أن تقدموا لي ما يكفي من الطعام لرحلتي، أو سأرضى بأن تقرضوني إياه».

كان أهل الفتاة من علية القوم في تلك الأمة، يبذلون ما في وسعهم في الأعمال الخيرية وبكل الطرق الممكنة. فوافقوا عن طيب خاطر بأن يزودوا الشاب ليس فقط بما يكفيه من طعام لأيام بل لأشهر، وعندما ذهب في تلك الليلة كان يحمل كل ما استطاع حمله من الطعام، الخشن والجيد، لفافات بسكويت

موكي، الخبز والكثير من الكعك المدهون، التي كان يعلم أنها ستكون مغرية جداً للكلاب.

وفي اليوم الرابع، وبعد أن قام بصنع أسلحته، وبعض الخناجر الصوانية، وبعض الهراوات، نادى من جديد على كل الجحور وأماكن تواجد الكلاب في المدينة التي يقطنها، وقال لها جميعاً: «سأغادر وأمضي في رحلتي، بعد أن تزودت بما يكفي من الطعام للطريق. ومثلكم، فقد أصبحت قوي العود رشيق الخطوة، وسأكون في منتصف الطريق إلى زوني بحلول منتصف الليل. وما إن ينام الناس كي لا يرشقوكم بالحجارة أو يدفعوكم بعيداً اتبعوا الأثر إلى زوني بأسرع ما تستطيعون وسأنتظركم إلى جانب الجبال السوداء بقرب ينبوع الساهرين وهناك سأطهو لكم حتى نتمتع بوجبة جيدة ونصبح أقوى على متابعة رحلتنا في اليوم التالي».

أكدت له الكلاب مراراً رغبتها في أن تتبعه. بدأ رحلته مع الغسق مثقلاً بحمله، وتسلق من دون أن يلحظه أحد الجانب الأسفل من الأجمة وعبر السهول المليئة بالشجيرات والتلال في الشرق البعيد من موكي، وهكذا عبر الوديان التي تؤدي إلى مدينة زوني. ووصل إلى المكان الذي حدده للقاء مع الكلاب

قبل منتصف الليل، وأشعل ناراً، ووضع ما يحمله وبدأ بطهي العصيدة بكميات كبيرة.

وبعد أن بدأت الأضواء تنطفئ في نوافذ موكي، وتغلق أعينها الحمراء كما تغلق فتيات موكي أعينهن البراقة، لوحظ نشاط عظيم بين الكلاب، إلا أنها لم تصدر ضجة كبيرة إلى أن خرج آخر كلب من المدينة. لم يُر من قبل قطيع متنوع من الكلاب المهجنة كهذا، إلا أن يكون المرء قد شاهد كلاب موكي اليوم، بعد أن هبطت جميعاً الأجمة، واجتمعت واحداً إثر الآخر في حشد كبير، وبدأت بالنباح والعواء أعلى فأعلى وهي تتجه نحو التلال الغربية على الطريق الذي سلكه الشاب.

تناهت إلى سمعه وقع قوائمها رويداً رويداً، وبدت تركض. ثم أقبلت وهي تعوي وتنبح بمختلف الأصوات واقتربت أكثر فأكثر. فأعد الشاب لها الطعام، وما إن اقترب أولها من ضوء النار حتى نادى الشاب: «رائع يا أصدقائي، لقد تمكنتم من المجيء! أنا سعيد بقدومكم! اجلسوا حول نار مخيمي، ولنحتفل ونسعد ونخفف مما أحمل، وأنا أشكركم لأنكم ستساعدونني في حملها عندما نبدأ رحلتنا غداً».

كان سخياً جداً في توزيع العصيدة والخبز الرقيق على

الكلاب، كما دعا تلك التي تشعر بالحر والعطش إلى أن تشرب حتى تكتفي من الينبوع وتأكل حتى تشبع من الوليمة. كانت الكلاب جائعة جداً كعادة الكلاب دوماً. وكما يتذكر العديد فإن الكلاب الطويلة سريعة وشرهة (فهذه هي حال الكلاب) والكلاب القصيرة القوائم وكلاب البيغل تتأخر في الوصول إذ تحتاج إلى وقت أطول، لكن الشاب كان قد اهتم بأمرها واحتفظ بما يكفي من الطعام من أجلها عندما تصل.

وأخيراً عندما أنهت جميع الكلاب طعامها، ابتهجت لكنها لم تشبع فهذا مستحيل تقريباً، وباتت مرحة مثيرة للضوضاء فقد أصبحت حشداً كبيراً. بعضها استلقى على الأرض ليرتاح وبعضها الآخر بدا نافد الصبر للبدء بالرحلة. وهكذا قبل أن يبزغ ضوء النهار، أعد الشاب حزمته وانطلق مهرولاً برشاقة وتبعته هذه المجموعة من الكلاب، فركضت النخبة منها على جانبيه وركضت الأخرى خلفه، مثل ذيل يجرجر على طول مضمار السباق.

وقبل حلول الظلام، اختبأ في أحد مجاري الأنهار الجافة عند النهاية الغربية للجبال العظيمة، على سفوح الجبل التوأم، والذي على مقربة منه كما تعلمون يقود الطريق من موكي إلى مدينتنا.

وأعطى تعليماته للكلاب بهدوء وأطعمها ثانية، أكثر من المرة السابقة حتى تكون متحمسة للقيام بعملها.

وقال لها: «أصدقائي وإخوتي، استلقوا هنا كل بحسب ما يناسب لونه حتى تتمكنوا من الاختباء جيداً، بعضكم إلى جانب الشجيرات الرمادية، بينما أنتم يا أصدقائي يا من لديكم علامات واضحة على ظهوركم فابقوا بعيدين عن الأنظار، ابقوا في هذه الحفر العميقة وتعالوا إلينا كقوة احتياطية كي تدعمونا عندما نحتاج إليكم. والآن استلقوا بصبر، فلديكم ما يكفي من العمل لتقوموا به، والآن تستطيعون الاستراحة. وفي صباح الغد، بعد وقت قصير من شروق الشمس، سآتي إليكم دون ريب، باندفاع وإرادة أكبر، متجهاً نحو كمينكم مصحوباً بمجموعة من الكلاب في إثري، وهي كلاب لا تستحق هذا الاسم. فاستعدوا لمساعدتي، فهي كلاب تغذت بعناية، ولا ريب في أنكم ستكونون من الحكمة بما فيه الكفاية لتستفيدوا من هذه الحقيقة، إن رغبتم».

سرّت الكلاب بكلامه هذا، وبأصوات أعلى من اللازم أكدت على استعدادها لأن تتبع اقتراحه، وستبذل ما بوسعها لتؤكد له أن عليه ألا يخشى شيئاً، وأنها بمفردها ستقضي على

شعب زوني، الذي كما سمعوا من الكلاب الأخرى، قد أصبح أكثر كسلاً وغير مبال بأمور الرجال والكلاب وغيرها.

مضت الليلة واستعاد الشاب نشاطه بالنوم، وبعد قليل من ظهور النجوم النبيلة حول نجمة الصباح، اتخذ طريقه خلسة عبر السهول الشاسعة نحو تل زوني، وهناك عند الغرب قبل غروب شمس مدينتنا بقليل، جثم على سطح صغير منتظراً.

ولم يطل الوقت بعد ظهور نجمة الصباح، حتى خرج شيخ متأنق من منزله في زوني، وبسط دثاره ولفه حوله ونزل متهادياً نحو ضفة النهر. وبعد أن قدم أضحية الصباح للشمس التي تشرق، عاد وجلس قليلاً. وما إن جلس حتى عاجله الشاب بضربة خاطفة، ثم جر الرجل المسكين جانباً، وبهراوته ضربه على رأسه ثم سلخ رأسه بروية. وما كاد ينتهي من عمله هذا حتى سمع صوت قرقعة سلم من أحد الشرفات في المدينة. وضع الجمجمة سريعاً في حزامه واستجمع نفسه وألقى جسد الرجل الميت في حفرة قريبة وانحنى بجانب الحفرة وانتظر. بدت أصوات أقدام الرجل تقترب أكثر فأكثر وسرعان ما وصل إلى مكانه، حيث عاجله الفتى من موكي بضربة قوية على رأسه قتلته في الحال دون أن يصدر أي صوت. سلخ جمجمته أيضاً، ثم

كرر الأمر مع آخر ومن ثم شخص آخر بالطريقة نفسها، حتى أصبح هناك أربعة رجال قتلى في الحفرة. واضطر إلى أن يجر بعضهم من الطريق ويلقيهم خلف كومة القمامة. وما إن عاد حتى وجد رجلاً يمشي الهوينى في المكان نفسه فما كان منه إلا أن قتله كالباقين وكان مشغولاً بانتزاع جمجمته عندما ظهر عند الحفرة رجل آخر كان يتبعه، واكتشف ما الذي يجري، فركض نحو المدينة ليحضر أسلحته وهو يصرخ صرخة الحرب. أسرع الفتى من موكي عبر السهول بعد أن التقط الجماجم التي انتزعها من الذين قتلهم وخطف منهم الحلي القيمة التي كانوا يرتدونها.

تسلح سكان زوني وفي وقت أقل مما لزم ذلك الرجل ليخبرهم بكل ما شاهد، ونبحت الكلاب وبكى الأطفال وصرخت النساء، فلم يكن أحد يعرف كم عدد الأعداء، وقدم كهنة القوس إلى أسفل التل وهم يرتدون دروعهم النصفية من جلود الغزلان وهم يتهددون الأعداء وأسلحتهم في أيديهم، وبدأوا بمطاردة الشاب الهارب مستعدين لمواجهة عصابته. استطاع الشاب الوصول إلى البقعة التي ربضت فيها كلابه، قبل ذلك الحشد من المحاربين، ووجدهم جميعاً متأهبين ومستعرين بالغضب، فاختبأ في مجرى النهر الجاف ونادى كلابه: «حان

الوقت يا أصدقائي! سيكونون هنا خلال دقيقة! هل تسمعونهم وهم قادمون؟».

نبحت الكلاب بصوت منخفض، وانتفضت مخالبها وانحنت كي تنطلق عندما يحين الوقت.

وسرعان ما وصل حشد المحاربين، وهم يشعرون أنهم قوة كبيرة في مواجهة شخص واحد، وظلوا مقتنعين بذلك حتى أنهم اعتقدوا أن الكلاب الرمادية ذات البقع على ظهرها هي صخور وحفر في الرمال، وغدوا تقريباً في وسط هذه الوحوش قبل أن يدركوا وجودها حولهم! يا له من وقت للتواجد هناك! هجم الشاب بالهراوة وأحاطت الكلاب بمحاربين زوني من أمامهم وخلفهم وهي تعوي وتزمجر وتعض أجسادهم وتمزقها في كل اتجاه حتى تحول كل واحد منهم إلى أجزاء أو تشوه حتى إن ضربات بسيطة من هراوة الشاب كانت كافية لقتله. وهؤلاء الذين تبعوهم وهم لا يدرون ما الذي يحدث عادوا مذعورين إلى أهلهم، الجبناء القذرون، في حين قام الشاب بكثير من السرور بانتزاع جماجمهم إلى أن لاحظ نشاطاً كبيراً في المدينة البعيدة، واستنتج أنه من الحكمة التخلي عن القلة التي لم يجهز عليهابعد. وهكذا حمل كومة الطعام والحبل الدامي من الجماجم (والذي

كان طويلاً جداً وكثيفاً وبالكاد استطاع حمله)، وهرول إلى أسفل التلال، وتبعته بعض الكلاب، في حين بقي الآخرون في الخلف، وهم يشعرون بالرغبة في الاستفادة من الطعام الوفير المتاح أمامهم.

وعندما وصل الشاب والكلاب التي تبعته أو التي انضمت إليه لاحقاً إلى الينبوع العظيم بجانب الجبال السوداء، تاركين هؤلاء الذين يلاحقونهم بعيداً في الخلف، توقفوا وأضرم الشاب ناراً من أغصان شجر الصنوبر وأكـوازه، وقام بطهي جميع الطعام الذي لديه، وقال للكلاب: «شكراً لهذا اليوم يا أصدقائي وإخوتي! لقد قمتم بخدمتي بنبل ولذا سأطعمكم الأفضل». وحينئذ أخرج الكعك المدهون والمزيد مما لذ وطاب من الطعام الذي كان قد احتفظ به كمكافأة للكلاب. وأكلت الكلاب كثيراً وكانت أصوات تعبيرها عن رضاها عالية جداً. وعندها قام الشاب بأخذ حبل الجماجم مرة أخرى وربطه إلى عمود طويل ليمنع الجماجم المنخفضة من ملامسة الأرض، ورفعه فوق كتفه وبدأ بغناء أغنية النصر وأكمل طريقه نحو موكي.

كانت الكلاب مجنونة بالنصر ومتخمة من الطعام، فلم تستطع السيطرة على نفسها، لكنها تلوت في مرح ونبحت

وأخذت تعدو في المكان، مثيرة دوائر واسعة من الغبار حول والدها، الشاب المنتصر. وأسرعت بخفة وسرعان ما أصبحت كلاب البيغل في الخلف وتساءلت بعض الكلاب الرشيقة قائلة للشاب: «بحق موسيقى المروج! سيكون علينا أن نخفف من سرعتنا يا أبتاه، فقد تأخر إخوتنا المساكين ذوو السيقان القصيرة وبدأوا يتعبون وأصبحوا بعيداً في الخلف، وليس من الشجاعة مهما كان نصرك عظيماً ومهما كانت رغبتك بالعودة إلى المنزل كبيرة، أن تترك إخوتنا المتعبين يلهثون في الخلف. فقد يقترب منهم العدو وهم غافلون ويقطع عليهم طريق العودة ويقتلهم». وهكذا خففوا سرعتهم مكرهين، وشجعوا بالصرخات والعواء الكلاب القصيرة الأرجل على اللحاق بهم.

كانت الدهشة عارمة في موكي لغياب الكلاب، إذ لم يبق منها إلا الصغيرة جداً أو الكهلة جداً التي لا تستطيع السفر، وبدأ الناس يظنون أن بعض الشياطين أو السحرة في موكيدو قد سحروا كلابهم بعيداً عنهم، حتى اقترب المساء وسمعوا أصواتاً بعيدة، بدت عندما اقترابها كصوت مسيرة مرحة منتصرة، وفوق كل الأصوات تعالت أغنية النصر التي يغنيها الشاب القوي أوضح من غيرها من الأصوات وقد أحضر معه الجماجم التي

انتزعها. ونبحت الكلاب بينما تقترب عبر الوادي وتصل إلى سفح الأجمة حتى شاهد الناس الدماء والغبار الذي غطى جميع الكلاب، ولم يعرفوا ما الذي حدث. فهل تم إغراء كلابهم وعضها بقسوة أم أن الكلاب هاجمت قطيعاً من بقر الوحش وقضت عليه. ولكنهم سرعان ما شاهدوا وسط قطيع الكلاب، القامة الفارعة للشاب المتشرد وسمعوا أغنيته القوية. وفي الحال راودت أفكار مختلفة باقي الشباب الذين رفضتهم الفتاة، بعضهم تسلل بعيداً، وآخرون عضوا على أسنانهم وغطوا عيونهم، وهم يشعرون بالخزي والعار، في حين قام شيوخ هذا الشعب بتمجيد الشاب بعد أن لمسوا العمل البطولي الجريء الذي قام به هذا المتشرد المهمل، وأجابوه بأغنيات النصر، ثم اجتمعوا في مقر المجلس المهيب ليستقبلوه كأنه ضيف كريم رفيع المقام.

وهكذا عاد الشاب المنبوذ من موكي والذي ذهب إلى زوني، بطلاً منتصراً وناجحاً من جميع الجوانب، وفوراً وطوعاً قبلت به أجمل فتيات موكي كزوج لها بعد أن أتم شعائر التطهير ومراسم القبول.

إلى الآن كان ذلك جيداً، ولكن كل هذا المديح لشخص قد نبذوه من قبل وأساءوا معاملته و فوق كل هذا فوزه بزوجة

جميلة مثل تلك الفتاة، أشعل نيران الغيرة في قلوب العديد من العاشقين المرفوضين، مما جعل هؤلاء الذين كانوا ينظرون إليه سابقاً بشك، أقرب أصدقائه وإخوته وذلك من أجل هدف واحد وهو القضاء على هذا الشاب المتشرد المحظوظ. ولم يكونوا وحدهم من يضمر هذه الرغبة، فقد قامت جميع فتيات موكي بتقليد تلك الفتاة المحظوظة وأعلن أنهن لن يتزوجن من لا يثبت نفسه بطلاً إلى درجة ما، مثل الشاب الذي تزوج أختهن الجميلة. وهكذا أصبحت قبيلة موكي بكاملها فيما يخص الشباب منها، مجموعة من العاشقين المرفوضين، وأكدت كل الفتيات على عزمهن البقاء عذراوات.

اجتمع العشاق المرفوضون في إحدى الليالي بطريقة حذرة (فقد كانوا جميعاً خائفين من البطل)، وعقدوا مجلساً. ولكن الحمقى لم يفكروا في الكلاب التي تتجول في الخارج، والتي سمعت كل ما قالوه. وتوصل الشباب إلى أن أفضل طريقة للانتقام من هذا الشاب هي بقتله، ولكن المشكلة كانت تكمن في كيف يفعلون ذلك، فهم جبناء. قال أحدهم: «سنقوم بتنظيم صيد، وندعي أننا أصدقاؤه ونطلب منه الذهاب معنا ونهتم به بكل طريقة ممكنة، ثم نطلب منه أن يعلمنا فنون الحرب، ذلك

الشقي! وسينضم إلينا سريعاً في رحلة الصيد، وسيقوم بعضنا برميه بالرمح وسنقضي على حياة هذا المغرور!».

اندفعت الكلاب فوراً لتعلم صديقها وأخاها بما يجري.

وقال الشاب: «حسناً، سأقبل دعوتهم وأذهب معهم للصيد».

وفي تلك الليلة ذهب إلى كهف كان يأوي إليه هرباً من الرياح عندما كان مبعداً خارج مدينة ويلبي، وهكذا أصبح صديقاً لأكثر المسافرين دقة في المنحنيات، سنونو الكهوف، وكان يناديه بالجد وأخبره ما الذي يجري.

قال الطائر العجوز: «حسناً جداً، سأساعدك». وقام بصنع البمرنغ المرتدة من أجل الشاب والتي كانت لديها القدرة على الطيران حول الشجيرات وفوق الجداول، وإذا قذفت بشكل جيد طبعاً فمن الممكن أن تمسك بأرنب رشيق الخطى حتى في مخبأه. وعندما أنهى صنعها قال للشاب أن يأخذها ويستخدمها بحرية في الصيد. وشكره الشاب وعاد إلى مدينته حيث قضى الليل بسلام.

وعندما ظهر في الصباح التالي، حياه الآخرون بلطف، أولئك الذين صادف ورأوه، ورد تحياتهم بمودة مماثلة. كانوا يلحون على

كبير الكهنة كي يسمح لهم بالقيام بصيد كبير للأرانب. ولأن آباء البشر اعتادوا دوماً السعي إلى سعادة أبنائهم، لذا فقد أمروا ببدء التحضير لصيد كبير في غداة اليوم التالي. وهكذا انشغل الجميع بصنع الرماح والبمرنغ.

في اليوم التالي، قام جميع الشبان القادرين في المدينة باختيار البطل الذي تحدثنا عنه كقائدهم، واتخذوا طريقهم نحو السهل الكبير جنوب موكي وهناك انتشروا في دائرة كبيرة، وقادوا مئات الأرانب أقرب فأقرب معاً حول شجيرات الأيكة في منتصف الوادي ونجح بعضهم في إصابة بعض الأرانب، ثلاثة أو أربعة منها، ولم يمض وقت طويل حتى لاحظ الجميع أن الشاب كان يصيب أرنباً في كل مرة يرمي فيها عصاه المرتدة حتى اصطاد الكثير، وأصبح مضطراً أن يستدعي بعض الصبية الذين تبعوهم ليحملوها من أجله.

بدأت هذه المجموعة تتأجج بالغيرة والغضب الشديد، إذ كيف يزهم هذا الشاب الذي يكرهونه جداً حتى في صيد الأرانب! صكوا أسنانهم وقام أحدهم في لحظة حماسية، بينما كان اثنان أو ثلاثة من الأرانب تحاول الهرب وسدد متعمداً نحو الشاب وألقى عصاه المرتدة عليه. كان الشاب مخادعاً وقفز في

الهواء عالياً، وهو يتظاهر بقذف عصاه المرتدة وهكذا أخطأت الإصابة أعضاءه الهامة ولكن بدا أنها أصابت قدمه وكسرتها وهكذا سقط على الأرض فاقداً للوعي بين الحشد وأطلق الناس صرخة كبيرة، بعضهم حزناً والآخرون ابتهاجاً.

قال بعض الخطاب الغاضبين: «دعوه هنا حتى يتعفن!» وجمعوا ما اصطادوه من أرانب واتخذوا طريقهم نحو المدينة. ولكن بعضاً من الرجال العجائز الذين أسفوا الوقوع هكذا حادث للشاب، ركضوا بأسرع ما يستطيعون نحو المدينة لإحضار الدواء، وقد خشوا من رفعه حتى لا تزداد إصابته سوءاً.

عندما أصبح الشاب وحيداً، فتح عينيه وابتسم، وأخرج من جرابه عقاراً شافياً، ووضعه على المكان المتورم وسرعان ما تخلص من الألم، إن لم يكن من الإصابة كلها. ونهض ونظر حوله ليجد أن الصبية أصيبوا بالرعب وتركوا الأرانب التي اصطادها وهربوا. وقام بصنع حزمة كبيرة وقبل غروب الشمس بقليل، ولدهشة شباب المدينة قدم وهو يغني مرحاً، على الرغم من أنه يعرج بعض الشيء، عبر السهول على سفوح تلال موكي وهو يحمل حزمة هائلة من الأرانب. تسلق الأجمة وحيا الجميع بسرور كأن شيئاً لم يكن واتخذ طريقه نحو المنزل، وأحاطته

نظرات الإعجاب من جميع النساء في موكي كباراً وصغاراً فقد غدا نموذجا للشجاعة والرجولة.

وأصبح ضرورياً للغاية منذ ذلك الحين، إذ لم يعد المتأنقون ضعيفو القلوب يحاولون الغدر بالشاب، لأي شاب يود الزواج من فتاة من موكي أن يبرهن نفسه كرجل بطريقة أو بأخرى، ولذلك غالباً ما يتحول أقبح الأطفال وأكثرهم تعرضاً للإهمال إلى أكثرهم ذكاء لأن عليهم الاعتناء بأنفسهم، ولهذا فإن الأزواج في موكي قبيحون جداً ولكن هناك شيء واحد مؤكد، وهو أنهم رجال حقاً.

اعتبروا من هذه الحكاية أيها الفتيان والشبان.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف شارك القيّوط في حفلة البوم

ربما تعرفون البلاد التي تقع في جنوب الوادي الذي يحضن مدينتنا، فقد اعتدتم الطواف على طول الطريق الملتف حول التل، الذي سماه القدماء تل الشحم، لأن الصخور في بعض الأحيان تشع بفعل ضوء الشمس عند المساء، ويقال إنه حدثت أشياء غريبة هناك في غابر الزمان، وهذا ما يجعل هذه الصخور تشع، بينما الصخور المماثلة في الأماكن الأخرى ليس لها هذا البريق. فإذا ارتحلت على طول هذا الطريق وعبرت الجداول الجافة عند سفوح الأجمة العظيمة والمسماة الجبل الأوسط حتى تصل إلى سفح المنحدرات. وهناك ستتسلق جيئة وذهاباً وأنت تدور وتدور حتى تصل إلى قمة الجبل المسطحة كأنها أرضية منزل، وإلى أن تصل إلى هناك ستكون قد اجتزت بعضاً من الوديان الصغيرة المغطاة بأشجار الصنوبر والسدر ومررت عبر طرقات شقتها حوافر الغزلان والحيوانات الأخرى بالإضافة إلى أقدام البشر. وهكذا تمضي قدماً حتى تجد نفسك قد نزلت

من الجبل الأوسط وأنت غير عالم بذلك لتصل إلى سهل واسع مغطىً بالعشب، تنتشر فيه هنا وهناك بعض الأجمات. خلف هذا الوادي يقع سهل رملي مرتفع في وسطه عوضاً عن يكون منخفضاً، وهكذا فعندما تمطر ينساب المطر إلى الأسفل نحو التربة في الجزء المنخفض (وهي واسعة جداً حتى تكاد تكون بلداً في حد ذاتها) وتسقي العشب هناك فيبقى أخضر وجميلاً أغلب أيام السنة.

منذ غابر الزمان وفي هذا الوادي أو الحوض كانت هناك قرية لكلاب المروج، تعيش على وفاق تام مع الثعابين المجلجلة، والسحالي والضفادع والبوم. وكانت صديقة للبوم بشكل خاص، تعتبرها مخلوقات ذات جاذبية وقدسية كبيرة. ولهذه الأسباب لم تقم كلاب المروج قطّ بإزعاج اجتماعات أو مراسم البوم، بل ظلت تعاملها باحترام كبير وتحافظ على مسافة كافية معها عندما تقوم بأداء شعائرها ورقصاتها.

وتصادف في أحد الأيام أن أقام البوم ومنذ الصباح الباكر احتفالاً كبيراً ضم فحسب أفراد نوعهم. كان الرقص الذي انشغلوا به غريباً على نحو استثنائي، وكانوا يحبونه كونه لا يتطلب مهارة كبيرة في أدائه، إذ توجب على كل من الراقصين،

شاباً كان أو فتاة أن يحمل على رأسه وعاء من الرغوة، وعلى الرغم من أرجلهم المعقوفة وحركاتهم غير المتناسقة إلا إنهم رقصوا في انسجام تام على وقع صفير البعض وتصفيق الآخرين، وفي براعة كبيرة حتى إنهم لم يسكبوا قطرة من الرغوة على أرديتهم الناعمة والمصنوعة من الريش البني والأسود.

كما تصادف أياً في ذلك الصباح من الرقص بالرغوة، وجود قيّوط كان يتطفل في المكان بحثاً عن الجنادب وكلاب المروج. كان يجوس بهدوء طبيعي حدود الشوارع في أطراف مدينة كلاب المروج. وكان منزله حيث عاش مع جدته يقع في الغرب، فوق المرتفعات التي تحيط بالبلاد الغارقة بين الصخور. وقد سمع نغمات الموسيقيين وأغانيهم الصغيرة الصاخبة.

وهكذا انتصبت أذناه، ورفع ذيله وهرول نحو المكان بين الأجمات ومداخل القرية، حيث كان البوم يرقصون بالصف. نظر إليهم بفضول كبير، وهو جاثم على ركبتيه ليتمكن من مراقبتهم بهدوء. وأصبح فعلاً مهتماً ومستمتعاً بحركتهم المتثاقلة وقفزاتهم الذكية، لدرجة أنه لم يعد يستطيع السيطرة على فضوله، فتقدم إلى الأمام نحو مشرف الاحتفال العجوز بابتسامة متكلفة وانحناءة خفيفة وقال: «أبتاه، كيف حالك وحال أولادك في هذه الأيام؟».

أجاب اليوم العجوز: «في غاية السعادة والرضا»، وحول اهتمامه ثانية نحو الرقص.

قال القيّوط: «أجل، ولكني ألاحظ أنكم ترقصون رقصاً جميلاً جداً بل ساحراً، ساحراً جداً! أريد أن أعرف لماذا ترقصون إذا كنتم سعداء وراضين؟».

أجاب البوم الكهل: «نحن نرقص لنسعد أنفسنا ولنحقق خير المدينة».

أجاب القيّوط: «صحيح، صحيح، ولكن ما هذا الذي يحمله الراقصون على رؤوسهم ويبدو كأنه رغوة؟ ولماذا يرقصون وكأنهم يعرجون؟».

التفت البوم الكهل نحو القيّوط وقال: «أترى يا صديقي، نحن نحمل هذا لأننا نؤدي طقساً مقدساً جداً، مقدساً جداً بالفعل. وبقيامنا بذلك، فإن أبنائي هؤلاء يستهلون معرفتهم بالتدريب على ألغاز المجتمع المقدس، الذي من شأنه أن يتيح لهم القيام بأشياء غريبة جداً في شعائر احتفالاتنا. أنت تسأل ما هذا الذي يقومون بموازنته على رؤوسهم ويبدو كالرغوة. انظر بدقة يا صديقي. ألا ترى أنها رؤوس جداتهم وقد تحول ريشها إلى اللون الأبيض بفعل التقدم في السن؟».

تساءل القيّوط وهو يطرف بعينيه وقد انتفض شارباه: «يا لعيني! هذا يبدو صحيحاً».

قال البوم: «وتسأل لماذا يعرجون وهم يرقصون. إن هذه الحركة أساسية في التنفيذ الصحيح لرقصاتنا، أساسية جداً إلى درجة أننا في الحقيقة كي نتوصل إلى إتقانها فإن أبنائي هؤلاء يضطرون إلى معاناة الألم الناجم عن كسر أرجلهم. وبدلاً من أن يخسروا بفعلهم هذا فإنهم يجنون العديد من المكاسب بطرق متنوعة، ويتبعهم الحظ الجيد. وهم رشيقون كما كانوا في السابق ويستمتعون أكثر من قبل بالتميز في أداء الرقصة التي لا يستطيع أحد من البشر أو المخلوقات في العالم القيام بها!».

هتف القيّوط: «اللعنة! هذا الأمر يصبح غريباً أكثر فأكثر. إنها رقصة لا بد أن يعجب بها المرء، ولكنني أتساءل لماذا تحتفظ كل شعرة من جسدي بروعة تلك الموسيقى وصدى الصوت المصاحب لخطواتهم؟ اسمعني يا صديقي ألا تعتقد أنني أستطيع أن أتعلم هذه الرقصة؟».

أجاب البوم: «حسناً، إنها صعبة التعلم، وأنت لست منا، ولكن إذا كنت مصراً على الانضمام إلينا في هذه الرقصة... على فكرة هل لديك جدة؟».

قال القيّوط وهو يشير بوجهه في الاتجاه الذي يقع فيه منزله: «أجل، وهي سيدة عجوز طيبة، وهي تعيش هناك معي. وأستطيع أن أقول إنها تحضر لي الفطور الآن».

أكمل البوم الكهل: «جيد جداً، إذا كنت مهتماً بالمشاركة في الرقص، فعليك تحقيق الشروط، وأنا أظن أننا نستطيع استقبالك بيننا». ثم أضاف بصوت خافت: «هذا القيّوط الغبي الأحمق الشقي المتطفل عديم الصبر! سألقنه درساً حتى لا يتدخل في أمور الآخرين!».

قال القيّوط بحماس: «حسناً حسناً، وهل يستمر الرقص طويلاً؟».

أجاب البوم: «إنه يستمر حتى تصبح الشمس حادة جداً وتؤذي أعيننا، لا يزال هناك وقت طويل».

قال القيّوط «لا بأس! لا بأس! سأعود سريعاً». ولوى ذيله في الهواء وأسرع نحو منزله. وعندما وصل إلى هناك، رأى جدته العجوز على السطح، الذي كان صخرة بجانب الجحر، وهي تجمع الفراء من بعض الجلود التي أحضرها إلى المنزل كي تصنع منها فراشاً لعائلة الذئب.

قال القيّوط: «مرحبا يا جدتي المباركة!، كيف أستطيع مساعدتك؟».

كانت العجوز تغني لنفسها عندما اندفع القيّوط إلى السطح حيث كانت تجلس، وأمسك بعظمة ساق كانت في متناوله، وعاجلها بضربة قوية على رأسها وبتره باستخدام أسنان غزال. وضع القيّوط رأس جدته على رأسه وهو مغطى بالدم ووقف على ساقيه الخلفيتين مستنداً إلى ذيله، وقد أخرج مخالبه وفرد أصابع قوائمه ليقلد بأقرب ما يستطيع الأجنحة المنخفضة للبوم الراقص. ووجد أنه قد نجح في ذلك، وهكذا هبط ورأس جدته في إحدى يديه وهو يحمل حجراً في اليد الأخرى حتى عثر على صخرة حادة تلائم غرضه، ووضع ساقيه عليها وضربهما بقوة بالحجر الذي يحمله مما أدى إلى كسرها بالتأكيد إلى شظايا.

صرخ القيّوط متألماً: «أيتها القوى المحبوبة! قد يكون الرقص شيئاً رائعاً لكن الاستهلال شيء آخر تماماً!».

ومع ذلك، جمع شتات نفسه ونهض ليمشي. ولكنه كان يستطيع ذلك فقط باستخدام قائمتيه الأماميتين، في حين جر قائمتيه الخلفيتين بأسى وراءه. وبالرغم من ذلك،

وبألم شديد، وبينما هو يصبح أضعف مع كل خطوة عاد بأسرع ما يستطيع إلى مدينة كلاب المروج، ورأس جدته المسكينة يتدلى على كتفيه.

عندما اقترب من الراقصين، الذين كانوا لا يزالون يرقصون، تظاهروا بأنهم سعداء جداً بالعنصر الجديد بينهم، وعلى الرغم من حالته المزرية، قاموا بتحيته بالعديد من عبارات التهنئة الممزوجة بكلمات الترحيب. بدا القيّوط مريضاً وتأوه باستمرار واستمر بالنظر نحو قائمتيه كأنه يرغب بلعقهما. ولكن البوم العجوز بسط جناحيه وحذره من التدخل بقوة القدر في هذه الشعائر المهمة ودعاه (بهمهمة تشبه إلى حد كبير قهقهة خافتة) لمشاركتهم في الرقص. ادعى القيّوط التبسّم وانحنى وحاول الوقوف برشاقة على قائمتيه الخلفيتين ولكنه سقط وتدحرج رأس جدته في التراب. التقط الرأس الأشيب وثبته على رأسه مرة أخرى ورفع نفسه، وبعواء كثير والذي حاول جاهداً كبحه، بدأ يخطو في المكان، ولكنه سرعان ما سقط ثانية. كان البوم يشعرون بسعادة كبيرة بسبب الحرج الذي وقع فيه القيّوط وسخروا منه وضحكوا بشدة حتى أراقوا جميع الرغوة التي يحملونها فوق رؤوسهم وعلى

ظهورهم وصدورهم، مما جعله يدرك أنه جعل من نفسه أضحوكة، وكان عليه ألا يتدخل في شؤون الآخرين في المرة القادمة ويحتفظ بمسافة آمنة بعيداً عنهم.

وعندما استوعب أنه تعرض للخداع، بدأ القيّوط بالعواء وضرب ركبتيه ببعضهما، ولمح رأس جدته المسكينة ممرغاً بالدم والتراب، صرخ في حزن وغضب: «وأسفاه! وأسفاه! لم يكن من المفترض أن يحصل هذا! أيتها الشياطين الصغيرة سأنتقم منكم! سأخرجكم من جحوركم».

سأله البوم بتندر: «كيف ستفعل ذلك؟».

«ستكتشفون ذلك، سأستعمل نبات الأيكة».

ضحك البوم مستهزئين: «هذا ما نفضله».

صرخ القيّوط وهو يشعر كمن طعن في ظهره: «حسناً سترون سأخرجكم من منازلكم».

صرخ البوم: «بماذا؟».

«بالأعشاب الزيتية».

ضحك البوم وقالوا له: «نحن نطهو العصيدة التي نحبها منه».

«حسناً ولكني بالرغم من ذلك سأطردكم أيتها الوحوش الصغيرة!».

صرخ البوم: «بماذا؟ بماذا؟».

قال القيّوط: «باستخدام الأعشاب ذات الرؤوس الصفر».

«حسناً، دعك من هذا! فنحن نصنع حلوانا منها، أيها الأحمق!».

«سأنتقم منكم! سأخرجكم من منازلكم! سأخنقكم حتى آخر واحد منكم».

صرخ البوم وهو يقفزون حوله على أرجلهم المقوسة: «بماذا؟ بماذا؟».

زمجر القيّوط «بصمغ الصنوبر».

أخاف هذا البوم لأن صمغ الصنوبر لا يزال حتى يومنا هذا مسبباً لمرضهم. وذهبوا بعيداً إلى جحورهم بعجلة شديدة.

ثم نظر القيّوط إلى رأس جدته المسكينة المتسخ والمدمى، وصرخ عالياً كما يفعل القيّوط في هذه الأيـام عند غروب الشمس وقال كما أظن: «يا جدتي المسكينة! هذا ما جعلوني أقوم به نحوك!»، ثم أخذ رأس جدته وزحف عائداً إلى منزله يعذبه حزنه على جدته وألم ساقيه.

عندما وصل إلى هناك تدبر أمر صعوده إلى السطح، حيث تتمدد جثتها المتصلبة، فقام بفرك أرجلها وجوانبها وغسل الدم والتراب عن رأسها وأحضر خيطاً وخاط رأسها على جسدها بأكثر ما يستطيع من عناية وعجلة. ثم فتح فمها ووضع خطمه فيه ونفخ في حلقها على أمل إنعاشها، إلا أن الهواء تسرب من الثقوب في رقبتها ولم تبد عليها أي علامة من علامات الحياة. ثم قام بمزج بعض الطعام المحمص بالماء وسكبه في حلقها، وهو يخاطبها بعبارات ملتهبة من الندم على ما فعله، والاعتذار والتوسل إليها، فهو لم يكن يقصد ذلك، ويناشدها أن تعود إلى الحياة. ولكن الطعام خرج من بين الغرز في رقبتها، وأصبحت أكثر برودة وصلابة في تلك الأثناء، حتى فقد القيّوط الأمل وبدأ النواح وأخذ غصناً قريباً من أشجار الصنوبر، وهو عازم على الانتقام، وبدأ يخطط

لجمع الصمغ الذي سيقتل به البوم. ولكنه لم يستطيع الحراك عندما وصل إلى هناك بسبب الضعف الذي أدت إليه إصاباته والحزن والعار والندمالتي تملأه.

استغرق القيّوط تماماً في العواء والتفكير في محنته وألمه، إلى أن رآه ضفدع كان يكرهه بسبب الإهانات المتكررة التي تلقاها منه ومن قومه، فزحف إلى حلق الوحش من دون أن يلحظه وغنى أغنية صغيرة. كان القيّوط يصيح متألماً، ولكن عندما سمع هذه الأغنية والتي كانت تبدو بعيدة جداً وقريبة جداً في آن، أحس بشعور غريب في داخله، حتى إنه فكر وتعجب بلا شك، إن كانت هذه أغنية ما. ثم رفع رأسه ونظر حوله، وعندما لم يسمع شيئاً استلقى ثانية وتحسر على نفسه. عندها بدأ الضفدع بالغناء ثانية، وفي هذه المرة نادى القيّوط عليه فوراً وأجاب الضفدع: «أنا هنا».

لم يستطع القيّوط العثور على الضفدع، إذ تراءى للناظر كأنه لا يريد ذلك. فاستمع إلى الأغنية مرة أخرى وسأل من الذي يغني. وأجاب الضفدع بأنه هو من يغني وظل القيّوط غير قادر على العثور عليه. وللمرة الرابعة غنى الضفدع، وبدأ القيّوط يشك في أن الصوت يأتي من تحته، فرفع نفسه ليرى فنخزته

إحدى الشوكات على رقبة الضفدع وعندئذ قال الضفدع الصغير: «أنا هنا، أيها الغبي في جوفك! لقد صادفتك في هذا المكان ولأني طبيب عظيم الشأن فقد ظننت أنه علي أن أرى ما الذي تعاني منه في أعضائك؟».

تعجب القيّوط: «بحق أرواح أجدادي، كن حذراً فيما تفعله في الداخل!».

أجابه الضفدع بأن وضع يده على كبد القيّوط وتساءل: «ما هذا الذي أشعر به؟».

قال القيّوط: «أين؟».

«هنا في الأسفل».

«بحق السماء! هذا كبدي ومن دونه لا يدرك أحد القوة بأي طريقة، ولا يشعر بالحيوية المناسبة. كن حذراً لئلا تصيبه، فإذا فعلت سأموت في الحال وما الذي سيحل بزوجتي المسكينة وأطفالي؟».

ثم تسلق الضفدع إلى معدة القيّوط وقال وهو يتلمس جوانبها: «وما هذا يا صديقي؟».

سأل القيّوط: «كيف يبدو؟».

أجاب الضفدع: «متلوياً ومليئاً بأشياء مخيفة!».

«الرحمة! الرحمة! يا للسموات! يا صديقي الغالي كن حذراً جداً! هذا مصدر وجودي. إنها معدتي».

قال الضفدع: «حسناً جداً» ثم تحرك أبعد نحو الأعلى ولمس قلب القيّوط والذي أجفله من الخوف فصرخ الضفدع: «وما هذا؟»

قال القيّوط: «الرحمة! الرحمة! ما الذي تفعله؟».

وجاءه الجواب: «لا شيء أتحسس أعضاءك الحيوية، ما هذا؟».

قال القيّوط: «وكيف يبدو؟».

قال الضفدع: «شكله مثل كوز الصنوبر وكما يبدو لي فإنه يستمر بالوثب».

عوى القيّوط: «يثب أليس كذلك؟ الرحمة! يا صديقي. ابتعد من هناك! هذا قلبي والخيط الذي يربط وجودي، وبيت مشاعري ومعرفتي بالأيام. ابتعد من هناك. افعل أرجوك! إذا خدشته ولو قليلاً فستتسبب في موتي. وما الذي سيحل عندها بزوجتي وأطفالي؟».

قال الضفدع: «لن تستطيع أن تقوم بإهانتي وإهانة قومي بعد الآن إذا قمت بلمسك هنا قليلاً، أليس كذلك؟»، ولمس القلب قليلاً فشهق القيّوط شهقة واحدة ثم مات.

ضحك الضفدع وهو يشق طريقه إلى خارج جسد القيّوط ويقفز إلى أقرب بركة ماء استطاع العثور عليها وقال: «أيها المجرم! ما فعلته بي عندما سنحت لك الفرصة ارتد عليك».

وهكذا ترون من هذه القصة، والتي حدثت في قديم الزمان، أننا نستطيع أن نستنتج أن من الغرائز المؤكدة لدى القيّوط، غريزة التطفل على ما لا يعنيه وإزعاج الآخرين والرغبة في تقليد كل ما يراه، والتي تجعله جاهزاً للقفز في أي فخ يعد له، ولا تزال هذه صفاته حتى اليوم. وأكثر من ذلك، لم يعد القيّوط يهين الضفادع في هذه الأيام، وصار يبتعد عن البوم الذين أصبحت ظهورهم وصدورهم بيضاء لأن أسلافهم أراقوا تلك الرغوة على أجسادهم بسبب ضحكهم من سخافة ذلك القيّوط.

وهكذا تنتهي حكايتي.

القيّوط الذي قتل سيويوكي العفريت
أو لماذا يحشر القيّوط أنفه في الأفخاخ

في غابر الزمان، أيام الأقدمين كانت هناك قرية في الوادي الجنوبي لجبل الرعد، حيث عاشت جميع آلهة الصيد مع شقيقاتها وأمهاتها: أسد الجبل، الدب الأسود الكبير، القط البري، القيّوط الرمادي، الصقر، وحتى آكل النمل، جميع آلهة الصيد عاشت هناك معاً. ويوماً بعد يوم واظبت على رحلات الصيد، فقد كان الصيد عملها في الحياة، وكانت صيادة عظيمة.

كما عاش على حافة جبل الرعد، عفريت أرقط يدعى سيويوكي، كان يترقب سكان المدن القريبة كلما خرجوا للصيد، فيكمن لهم ويأكلهم.

وبعد فترة طويلة أصبحت آلهة الصيد ناقمة وقالت لبعضها: «ما الذي نستطيع فعله؟ لم يعد أحد من البشر يقدم لنا الأضاحي، لأنهم كلما ذهبوا للصيد يقتلهم ذلك العفريت الذي يعيش في قمة جبل الرعد ويأكلهم. ما الذي نستطيع فعله؟».

قال بعضهم: «سيكون أمراً جيداً لو استطعنا قتله».

في أسفل منزل العفريت تماماً في وادي الذئاب عاش القيّوط، ذئب البراري، وقد اكتشف أين تعيش آلهة الصيد، وكلما رغب في التهام بقايا الطعام كان يذهب إلى أسفل منازلهم ويقرض العظام التي ألقوها بعيداً. وتصادف ذات يوم أن الآلهة كانت تتشاور فيما ستفعله، حين كان قريباً من مدخل المنزل يقرض عظمة فسمع كل ما قيل.

قال واحد أو اثنان منهم: «أجل وإذا استطاع احدهم قتل سيويوكي فسنقوم بتزويجه من إحدى أخواتنا».

قال القيّوط في نفسه: «آه» وأسقط العظمة التي كان يمضغها وعاد إلى منزله بأسرع ما يستطيع.

مبكراً في اليوم التالي، بدأ يحفر في جانب الوادي أسفل منزل العفريت، وبعد أن حفر حفرة كبيرة في جانب الجدول، دحرج حجراً ثقيلاً إليها، ثم عثر على آخر وضعه إلى جانبه. ثم أحضر عدداً كبيراً من عظام سيقان الغزلان وبقر الوحش. ثم عثر على وعاء كبير ووضع فيه قدراً كبيراً من العشب الأصفر وتركه إلى جانب الصخرة. ثم جلس وبدأ يكسر عظام السيقان مستخدماً اثنين من الحجارة التي جلبها معه.

لم يكن من عادة العفريت الكهل الاستيقاظ مبكراً، بيد أنه

عندما استيقظ في ذلك الصباح نهض وجلس على حافة الجرف، حيث كان القيّوط يسحق العظام ويدعي تذوق العقار الأصفر.

قال العفريت الكهل: «أتساءل ما الذي يقوم به ذلك المحتال الصغير هناك في الأسفل؟» ثم ارتدى حلة القتال الخاصة به وحمل قوسه وسهامه كأنه ذاهب للصيد وبدأ بالنزول إلى حيث كان القيّوط جالساً.

قال القيّوط: «مرحباً، كيف أمضيت ليلتك؟».

سأله العفريت: «ما الذي تفعله هنا؟».

أجاب القيّوط: «عجباً ألا تعلم؟ هذه هي الطريقة التي أدرب فيها نفسي على الجري، فلكي أتمكن من الإمساك بغزال علي أن أركض أسرع من أي غزال في البلاد. وباستعمال عقاري هذا، فإني أكتسب رشاقة هذه العظام».

قال العفريت الكهل: «أهذا ممكن؟».

قال القيّوط: «طبعاً هو كذلك، فلا يوجد غزال يستطيع الهرب مني».

قال العفريت بتوق: «هل تستطيع أن تثبت لي ذلك؟».

«لَمَ لا، طبعاً، ومن ثم يمكننا الذهاب للصيد معاً».

قال العفريت الكهل: «جيد! جيد! فأنا أواجه وقتاً عصيباً في الإمساك بالغزلان وبقر الوحش».

قال القيّوط: «حسناً، الآن اجلس هنا وراقبني، وسأريك كل شيء».

وهكذا وضع رجله اليسرى فوق الصخرة، وبمكر أخذ عظمة بقر وحش ووضعها على جانبها. ثم التقط حجراً كبيراً وضرب العظمة به بأقصى ما يستطيع من قوة. فانكسرت العظمة إلى شظايا، وتظاهر القيّوط أنها كانت عظمة ساقه هو. وصرخ متصنعاً الألم، ثم قال: «ولكنها ستتحسن!» وهو لا يزال يتأوه قام برش ساقه بالسائل المداوي وفركها. ثم قال: «ألم أخبرك، ها هي الآن». ثم جرى بعيداً مثل البرق ودار في السهل في الأسفل وعاد ثانية وقال: «ألم أقل لك؟».

قال العفريت الكهل وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما: «عجيب هذا العقار يجعل منك عداءً رائعاً، دعني أجرب الآن».

قال القيّوط: «انتظر، انتظر أنا لم أنته بعد».

ثم كرر التجربة على الساق الأخرى، وأثار ضجة هائلة آلمته أكثر من ذي قبل، ثم تظاهر بشفاء نفسه بالسائل العجيب، وركض حول السهل في الأسفل بسرعة شديدة حتى إنه بالكاد خلف أثراً على التراب وراءه.

قال العفريت الكهل وهو يفرك عينيه: «حقاً إنك من أسرع العدائين الذي رأيتهم في حياتي».

ثم قام القيّوط بتكرار التجربة على مخلبه الأيمن ثم الأيسر وفي المرة الأخيرة ركض برشاقة أكثر من ذي قبل.

قال العفريت الكهل: «أتريد أن تقنعني أنني إذا فعلت هذا أستطيع أن أركض بسرعة مثلك؟».

أجاب القيّوط: «بالتأكيد ولكنها ستؤلمك قليلاً».

قال العفريت: «ومن يهتم لألم صغير؟».

قال القيّوط: «ولكنها تؤلم بشدة، وأنا أخشى ألا تكون لديك الجرأة للمضي بهذا».

قال العفريت الكهل وهو ينهض: «هل تظنني طفلاً أو امرأة حتى أخاف من ضربة على ساقي ويدي؟».

قال القيّوط: «لقد فكرت فقط في أن أخبرك كم تسبب من الألم، ولكن إذا أردت أن تجرب ذلك بنفسك، فتفضل، هيا. ولكن هناك شيء واحد مؤكد وهو انك عندما تصبح سريعاً مثلي، فلن يستطيع أي غزال في البلاد أن يهرب منك».

قال العفريت: «ماذا أفعل؟».

قال القيّوط: «فقط اجلس هنا وسأريك كيف». وهكذا جلس العفريت بجانب الصخرة.

«هاك، الآن ضع ساقك فوق تلك الصخرة مباشرة وخذ الحجر الآخر واضرب به ساقك بأقسى ما تستطيع من قوة، وما أن تنتهي من فعل ذلك اغسلها بالسائل المداوي ثم كرر ذلك مع الأخرى».

قال العفريت: «حسناً» ووضع ساقه على الصخرة والتقط الحجر الآخر، وضرب بقوة كبيرة على فخذه حتى تحطم.

صرخ العفريت متألماً: «ماذا أفعل الآن؟».

أجاب القيّوط: «كن صبوراً، كن صبوراً ستتحسن»، ورشها بالسائل العجيب.

ثم التقط العفريت الحجر مرة أخرى، وضرب به ساقه الأخرى بقوة أكبر، بسبب ألمه.

صرخ القيّوط: «ستصبح أفضل يا صديقي، ستصبح أفضل» ورش المزيد من الماء الشافي على الساقين المصابتين.

ثم التقط العفريت الحجر مرة أخرى ووضع ذراعه اليسرى على الصخرة وضربها بقوة حتى كسرت أيضاً.

قال القيّوك: «انتظر لحظة، دعني أغسلها من أجلك، هل تؤلم؟ حسناً، ستصبح أفضل. انتظر فقط حتى نعالج الذراع الأخرى وستكون بخير في غضون دقائق».

تأوه العفريت: «يا إلهي! كيف لي أن أعالج الذراع الأخرى وذراعي اليسرى مكسورة؟»».

قال القيّوط: «ضعها على الصخرة يا صديقي، وأنا سأعالجها من أجلك».

وفعل العفريت ما طلبه منه القيّوط الذي ضرب ذراعه بالصخرة بقوة ولؤم شديدين. وقال له وهو يغسل الأجزاء المصابة بالمزيد من السائل الشافي: «كن صبوراً يا صديقي، كن

صبوراً»، ولكن العفريت كان يتأوه وينوح ويتدحرج في المكان متألماً.

ضحك القيّوط وهو يقفز فوق الصخور ويجري نحو السهل: «كيف تشعر الآن أيها الشيخ؟».

صرخ العفريت: «ولكنها تؤلم! إنها تؤلم!لن أشفى أبداً، سيقتلني هذا الوضع».

ضحك القيّوط قائلا: «طبعاً سيفعل. وهذا كل ما أردت فعله بك أيها الأحمق!».

وهكذا استلقى العفريت الكهل ومات من شدة الألم.

ثم انتزع القيّوط سكين العفريت وشق صدره ومزق قلبه ورئتيه وكل شيء. ثم سرق حلة الحرب التي كان يرتديها واتخذ طريقه بأسرع ما يستطيع نحو منزل آلهة الصيد. وقبل أن تحل الظهيرة كان قد اقترب من منازلها، ودخل راكضاً إلى الساحة أمام المنازل في الوقت الذي خرجت فيه الشقيقة الصغرى لآلهة الصيد لتعلق بعض اللحم كي يجف. وكان إخوتها قد ذهبوا جميعاً للصيد ولم يبق أحد منهم في المنزل.

قال القيّوط: «أنا أقول إنك زوجتي. زوجتي! زوجتي!».

قالت الفتاة: «أيها النذل الوقح، من هذا الذي لديه الجرأة ليدعوني زوجته في حين أنه يعلم أنني لم أتزوج قط!».

صرخ القيّوط ثانية: «زوجتي! زوجتي!».

صرخت الفتاة في غضب: «ابتعد أيها الوغد عديم الحياء!»، ثم نظرت حولها ورأت القيّوط يجلس على كومة من الرماد وقد شمخ بأنفه في الهواء كأنه أعظم شخص في العالم.

صرخت الفتاة: «ابتعد من هنا أيها الشقي!».

أجاب القيّوط: «بهدوء، بهدوء. هل تذكرين ما قاله إخوتك في الليلة الماضية؟»

قالت الفتاة: «وما كان ذلك؟».

«لقد أعلنوا أنك ستكونين زوجة من يقوم بقتل العفريت الأرقط».

قالت الفتاة: «حسناً وماذا في هذا؟».

أجاب القيّوط: «لا شيء، إلا أنني قتلته!» وأراها قلب

العفريت وحلة الحرب خاصته وهو يشمخ بأنفه في الهواء ثانية.

لم تنبس الفتاة المسكينة بكلمة واحدة، ولكنها جلست حتى كرر القيّوط نداءه: «أقول يا زوجتي تعالي واصطحبيني إلى الأعلى فأنا لا أستطيع صعود السلالم».

وهكذا نزلت الفتاة المسكينة السلالم وحملت زوجها ذا الرائحة الكريهة وصعدت به السلم.

قال القيّوط: «الآن خذيني معك إلى الداخل». وقامت الفتاة بما طلبه ثم بدأت بخلط بعض العجين، ولكن القيّوط استمر في اعتراض طريقها.

فقالت له: «هلا خرجت من هنا للحظة؟ حتى أتمكن من طبخ شيء من أجلك».

قال القيّوط: «أريدك أن تأتي و تجلسي معي، وتسمحي لي بتقبيلك فأنت تعلمين أنك زوجتي الآن». وكان على الفتاة المسكينة أن تخضع لمعانقة المخلوق ذي الرائحة الكريهة.

وسرعان ما جاء شقيقها، القيّوط الرمادي والذي كان شخصاً ذا طبيعة طيبة جداً فاستقبل القيّوط بسرور، ثم وصل بعده الدب

وهو يحمل بقر وحش كبير على كتفيه إلا أنه لم يقل شيئاً فقد كان شخصاً طيباً ولكنه كسول. وسرعان ما وصل الإخوة الآخرون واحداً إثر الآخر، إلا أسد الجبل الذي تأخر كثيراً في العودة حتى استعد الجميع بقلق للبحث عنه. وعندما شاهدوه عائداً من الشمال وهو يحمل من اللحم أكثر مما أحضره إخوته مجتمعين، وجدوا أنه في مزاج سيئ جداً، فما إن اقترب من المنزل حتى أصدر زمجرة قوية.

قال الإخوة والأخوات كأنهم جوقة واحدة: «مرة أخرى، هناك دائماً ما يزعجه».

زمجر أسد الجبل ثانية بصوت أعلى من السابق وبينما كان يصعد السلم مزمجراً للمرة الثالثة، ألقى بما يحمله ودخل وهو يشتم ويدمدم حتى خجل منه إخوته وطلبوا منه أن يتأدب.

قالت الأخت: «تعال وكل» وهي تحضر له وعاء من اللحم وتضعه على الأرض.

زمجر أسد الجبل مرة أخرى وهو يقترب ويجلس ليأكل، وقال: «ما الذي أصابك يا أختي؟ رائحتك تبدو مثل رائحة القيّوط».

فقال القيّوط الرمادي: «ألم يعد لديك أي احترام حتى تأتي إلى المنزل وتهين أختك بهذا الشكل؟ أنا أشعر بالاشمئزاز منك».

زمجر أسد الجبل ثانية.

عندما سمع القيّوط بقدوم أسد الجبل، تسلل إلى إحدى الزوايا ولكنه أخرج أنفه الحاد إلى الخارج، ولاحظ أسد الجبل وجوده وزمجر وقال: «اخرجوا هذا الوحش ذي الرائحة الكريهة من المنزل! اطردوه إلى الخارج!»، وهكذا حملت الأخت القيّوط بين ذراعيها وذهبت به إلى الغرفة الأخرى خوفاً من أن يقوم أخوها الأسد بقتله.

وقالت له: «ابق هنا ولا تتحرك فأخي غاضب جداً وهو دائماً ما يصبح غاضباً إذا لم تسر الأمور كما يجب».

وعندما حل المساء بدأ إخوتها يتناقشون فيما إذا كانوا سيذهبون للصيد في اليوم التالي، وسمعهم القيّوط الذي كان يتنصت خلف الباب. وهكذا نادى: «يا زوجتي! يا زوجتي!».

امتعض الأكبر ذو الذيل الطويل وقال: «اصمت أيها الجرو القذر». وحين نهضت الأخت للذهاب ورؤية ماذا يريد زوجها قال أسد الجبل: «من الأفضل أن تلقوا بهذا الجرو كريه الرائحة

من فوق السطح».

وما إن دخلت الفتاة حتى شرع القيّوط في التباهي بكونه أفضل العدائين، وانه يقطع مسافات كبيرة بسرعة كبيرة.

زمجر أسد الجبل ثانية: «سيبقى القيّوط قيّوطاً وسيجعل من نفسه أضحوكة، هذا الشقي كريه الرائحة!».

صرخ القيّوط الرمادي: «اصمت وتأدب! ألا تعلم شيئاً أفضل من أن تتحدث عن صهرك بهذه الطريقة؟»

وفي تلك الليلة لم يتمكن كل من القيّوط والفتاة من النوم بسبب أصوات الشخير والزمجرة التي كان يصدرها أخوها الأكبر ذو الذيل الطويل.

وعندما بدأ الأخوة بالتحضير للصيد في اليوم التالي خرج القيّوط متهيأً لمرافقتهم. فقال أسد الجبل: «أنت يا هذا؟ هل ستذهب للصيد معنا؟ أيها المحتال المغرور؟».

قال القيّوط الرمادي: «فليأتِ إذا كان يريد ذلك».

علق أسد الجبل: «يا لها من صحبة! إذا كنتم ترغبون في السير معه، فلكم ذلك. ولكن هناك شيء واحد مؤكد وهو

أنني لن أشاهد بصحبته» وهرول بعيداً وهو يهز ذيله ويزمجر. وهكذا أخذ القيّوط الطعام الذي أعدته له زوجته وتسلل وراءه وذيله يثر الغبار. أخيراً وصلوا جميعاً إلى الجبل حيث اعتزموا الصيد، وسريعاً بدأ أسد الجبل والدب بسوق قطيع من بقر الوحش، الذي اشتم رائحته عن بعد، وسرعان ما تدافع قادة القطيع إلى الهرب.

نادى القيّوط: «الآن إذن، سأريك أيها الأخ الغاضب ما إذا كنت أستطيع الصيد أم لا». وركض بعيداً نحو قطيع بقر الوحش والغزلان قبل أن يتمكن أحد من منعه. طبعاً جعل من نفسه أضحوكة وتفرقت الغزلان في كل الاتجاهات. وبالرغم من ذلك، استطاع الإخوة الذين كانوا صيادين ممتازين الإمساك ببعضها، وحين جلسوا لتناول الغذاء عاد أسد الجبل وهو يحمل أيلاً كبيراً على كتفيه. وسأل: «وأين صهرنا ذو الرائحة العطرة؟».

أجاب الإخوة: «لا أحد يعلم، لقد ركض مسرعاً خلف الغزلان وبقر الوحش وكان هذا آخر ما رأيناه منه».

أضاف أسد الجبل: «بالطبع يستطيع هذا الوحش أن يجعل من نفسه أضحوكة، ولا يهمني أن يمضي إلى أقصى مدى ممكن».

وسرعان ما عاد القيّوط وسأله أسد الجبل: «أين طريدتك أيها الصياد الرائع؟».

أجاب القيّوط «لقد هربت جميعاً مني».

زأر أسد الجبل وقال: «بالطبع فعلت أيها الأحمق، إن أفضل شيء يمكن أن تفعله هو أن تذهب للمنزل وترى زوجتك. هاك خذ هذا اللحم لأختي»، وألقى في وجهه بقطعة من اللحم.

سأل القيّوط: «من أين الطريق؟».

قال القيّوط الرمادي: «حسناً، اتبع المسار هناك حتى تصل إلى التقاطع، تأكد من تتبع الطريق الأيمن، فإذا اتبعت الطريق الأيسر فسيقودك بعيداً عن المنزل وإلى المتاعب».

قال القيّوط: «أي طريق قلت؟».

زمجر أسد الجبل ثانية، فقال القيّوط بعجلة: «أجل صحيح الطريق الأيمن. لا، الطريق الأيسر».

تمتم أسد الجبل: «وما الذي كنتم تتوقعونه، لقد نسي الأحمق ما أخبرته به. حسناً بالنسبة إلي، فإنه يستطيع الذهاب في الطريق الأيسر وكلما توغل بعيداً كان ذلك أفضل».

صرخ القيّوط الرمادي منادياً صهره: «تأكد من أن تسلك الطريق الأيمن».

أجاب القيّوط: «أعلم، أعلم ذلك». ومضى بعيداً وهو يحمل قطعة اللحم الثقيلة على كتفيه. وبعد فترة وصل إلى مفترق طرق وقال: «فلأر، يبدو أن علي سلوك الطريق الأيسر، لا، الطريق الأيمن. حسناً، أعترف أني نسيت! ربما كان الطريق الأيمن أو الطريق الأيسر. أجل إنه الطريق الأيسر. الآن أنا متأكد». والتقط حمولته من اللحم وهرول بعيداً على طول الطريق. ولكنه سرعان ما وصل إلى جرف شاهق وبدأ يتسلقه، وما إن وصل إلى منتصفه حتى بدأت طيور السنونو الصغيرة تطير حول رأسه وتنقر عينيه، وتصفعه على أنفه بأجنحتها.

تعجب القيّوط «يا الهي، يا الهي، هذا يؤلم»، وبدأ يهز رأسه من جهة إلى أخرى ليبعد طيور السنونو عنه، حتى تعثر وزلت قدمه، فسقط نحو الأسفل وهو يتدحرج، وتبادل رأسه وأقدامه واللحم الذي يحمله الأماكن فيما بينهما، حتى اصطدم بكومة من الصخور في الأسفل وتحطم إلى أجزاء.

تلك كانت نهاية القيّوط، ولكنها ليست نهاية الحكاية.

عاد الإخوة للصيد ثانية، ثم رجعوا إلى المنزل واحداً في إثر

الآخر. ومثلما حدث من قبل، كان أسد الجبل الأخير بينهم، فتشمم الغرفة ثم تساءل: «لا تزال رائحة الغرفة كأنها تحتوي على عشرين قيّوطاً كريه الرائحة، ولكن يبدو لي أن صهرنا العزيز ليس هنا».

أجاب البقية وقد لاح القلق على وجوههم: «لا، لم يره أحد حتى الآن».

علّق أسد الجبل ثانية: «ألم أقل لكم يا إخوتي، إنه أحمق وسينسى الاتجاهات؟ وأنا قلت لكم قبل أن يذهب. حسناً من جهتي، فأنا أتمنى أن يكون قد ذهب أبعد من أن يستطيع العودة». ثم تناول عشاءه.

عندما انتهوا من تناول العشاء قالت الشقيقة: «تعالوا يا إخوتي فلنذهب ونبحث عن زوجي».

في البداية زمجر أسد الجبل ودمدم كثيراً، ولكنه في النهاية وافق على الذهاب. وعندما وصلوا إلى حيث يتفرع الطريق، عثروا على آثار القيّوط على الطريق الأيسر.

قال أسد الجبل: «هذا الأحمق، أرجو أن يكون قد سقط من فوق الجرف وكسر كل عظمة في جسده».

وعندما وصل الجمع أخيراً إلى الجبل، وجدوا جسد القيّوط متكسراً، ولا توجد فيه عظمة واحدة سليمة ما عدا رأسه.

زأر أسد الجبل: «هذا ما يستحقه». والتقط صخرة كبيرة وألقاها بكل قوته على رأس الذئب.

هذا ما حدث في غابر الزمان، ولهذا السبب، عندما يرى القيّوط قطعة لحم نصبت كشرك داخل الصخور، فمن المؤكد أنه سيدس أنفه فيسحق رأسه، ويجلب صياح ألمه الانتباه إليه.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف حاولت ذئاب القيّوط سرقة أطفال الرقص المقدس

في زمن الأقدمين، عندما سكن قومنا أماكن مختلفة حول وادي زوني، وحيث تشهد بذلك الآن آثارهم، قيل إن ذئباً عاش في وادي الأرز مع عائلته والتي تضمنت عدداً لا بأس به من الجراء. وقيل أيضاً إنه عاش في ذلك الوقت على حافة جبل الرعد، خلف عمود الصخرة الكبيرة أو قمتها التي تتدرج نحو النهاية الغربية، أحد آلهة الرقص التمثيلي المقدس (كاكا) والمسمى كياماكوا مع أطفاله العديدين والذين يشبهونه تماماً.

في أحد الأيام خرج القيّوط الهرم من وادي السدر للصيد، وبينما كان يدور حول الأجمات أسفل جبل الرعد، سمع قعقعة وضجيجاً وصيحات صاخبة من كياماكوا. فانتصبت أذناه ورفع أنفه في الهواء وتشمم ونظر حوله، وسرعان ما اكتشف أطفال كياماكوا يركضون بسرعة جيئة وذهاباً على حافة الجبل.

همس القيّوط بصوت مرح: «يا لغبطة حواسي، ويا لها من مخلوقات رائعة! هذا لحسن حظي، أنا من عثر على هؤلاء

الأطفال، ولابد من أن أمسك بهم غداً وأربيهم كما يجب أن تتم تربية ذئاب القيّوط. أليسوا في غاية الوسامة؟».

قال كل هذا لنفسه في نوبة غـرور، وقد شمخ بأنفه في الهواء (جرو متغطرس!) وهو يخطط لسرقة أطفال الإله! لم يقم باصطياد أي شيء في ذلك اليوم، ورغم ذلك عاد إلى المنزل بأقصى ما يستطيع من سرعة، ولدى وصوله قال: «يا زوجتي! يا زوجتي! لقد عثرت على عدد من اللقطاء من أجمل ما رأت عيناي. أنهم أطفال كاكا، ولكن أي أمر هذا؟ إنهم هنا، يركضون جيئة وذهاباً ويصدرون أصوات القرقعة من أدواتهم على طول حافة جبل الرعد. أنا أعتزم سرقتهم غداً، سرقة كل واحد منهم، وإحضارهم إلى هنا!».

قال زوجة القيّوط العجوز: «فلتحل علينا الرحمة! هناك ما يكفي من الأطفال ويزيد، ما الذي تريد فعله بهم أيها الأحمق؟».

قال القيّوط: «ولكنهم جميلون، ورائعون جداً! سيحسدنا كل قيّوط في البلاد على حيازتنا لهم!».

أكملت الزوجة: «ولكنك تقول إنهم كثيرون».

أجاب الزوج: «حسناً، إنهم كثيرون جداً».

اقترحت الزوجة العجوز: «إذن لماذا لا نوزعهم على عشيرتنا؟ فأنت لن تستطيع الإمساك بهم وحدك، فمن النادر أن تقوم بإمساك أي شيء وحدك فما بالك بأطفال كياماكوا. أحضر الأقرباء لمساعدتك وقسم الأطفال بينهم».

قال القيّوط وهو يضع أنفه على رقبته: «الآن بعد أن فكرت في ذلك، تبدو هذه خطة جيدة. إذا نجحت في هذه المهمة فسأصبح زعيماً كبيراً؟ أليس كذلك؟». وصرخ : «هيا فلنقم بذلك». ولوى ذيله في وجه زوجته وانطلق مسرعاً من الجحر نحو الصخرة العالية، حيث جثم هناك وقد شمخ بأنفه عالياً ونادى:

«استمعوا جميعاً

يا ذئاب قبيلة وادي السدر

يا ذئاب قبيلة سهل الزهور

يا ذئاب قبيلة جبال الصخور المرتفعة

يا ذئاب قبيلة جداول الصخور!

لدي تعليمات من أجلكم اليوم. فقد عثرت على أطفال لقطاء، أطفال كياماكوا. أريد أن أسرق أطفال كياماكوا الصغار والكثيرين. سأسرقهم غداً ويمكن لنا أن نتبناهم. وأنا أريد مساعدتكم في سرقة صغار كياماكوا. استمعوا إلي جميعاً، وغداً اجتمعوا في المجلس. وهذا كل ما سأقوله لكم:

يا ذئاب قبيلة وادي السدر

يا ذئاب قبيلة سهل الزهور

يا ذئاب قبيلة جبال الصخور المرتفعة

يا ذئاب قبيلة جداول الصخور!».

وكان الظلام قد بدأ يخيّم، وفوراً ومن جميع الجهات، ومن الأماكن المظلمة تحت الوديان والجداول الجافة، صدر عواء يعقبه آخر ثم آخر. كان يجب أن تشاهدوا ذلك الحشد من ذئاب البراري التي تجمعت في الصباح التالي، كباراً وصغاراً، عجائز وشباناً، فقد اجتمعت القبائل الأربعة معاً في السهل أسفل جبل الرعد!

وعندما اجتمعوا جميعهم، قام القيّوط الذي عثر على الأطفال بصعود بيت النمل، وجلس ورفع مخلبه وكان على وشك أن يعطي توجيهاته كأنه زعيم عندما عضته نملة. عندها فقد وقاره ولكنه استعاده ثانية وصعد على صخرة مجاورة. ومرة أخرى شمخ بأنفه في الهواء وأخرج مخلبه، وبافتراض سخيف أخبر الذئاب أنه قائدها جميعاً وأن عليها الإصغاء إلى أوامره. ثم أظهر نفسه على انه ماهر أكثر بكثير مما تعتقدون. وكما تعلمون، فإن جرف جبل الرعد وعر جداً، وخصوصاً ذلك الجزء الذي يقع خلف تلك الصخرتين المنتصبتين. حسناً، وهذه كانت أوامر القيّوط:

«سينتظر أحدكم عند قاعدة الجبل، والآخر سيتسلق فوقه، وسيمسك الأول بذيله ثم سيصعد آخر فوقه، وسيمسك الثاني ذيله وهكذا حتى نصل للقمة. تمسكوا جيداً يا أصدقائي، لأنكم ستكونون صفاً واحداً. تجشأوا جيداً قبل القيام بهذا، فإن لم تفعلوا فقد تقعون في مشكلة كبيرة، فلو أن أي أحد في الصف أصابه الفواق فسيفقد قبضته وسنسقط جميعاً!».

وبدأت جميع الذئاب في الحال بثني رقابها ونفخ نفسها وإطلاق الريح والتجشؤ بقدر الإمكان. ثم وقفوا جميعاً

في صف واحد وأمسكوا بأذيال بعضهم بعضاً وهكذا امتدوا على طول وجه جبل الرعد مثل خيط طويل. كان جرو صغير سخيف في إحدى نهايتي الصف وذئب هرم قوي أشيب في النهاية الأخرى، والذي لم يكن سوى زعيم المجموعة.

قال القيّوط الزعيم: «بحق أرواح أجدادنا! تمسكوا بقوة! يا أصدقائي تمسكوا بقوة! تمسكوا بقوة!» وفجأة بدأ أحدهم قرب القمة في غمرة الإثارة بالعطس، وفقد قبضته وهوى الجميع، مئات منهم سقطوا وتكسروا تماماً على الصخور.

استدعي محارب الكاكا، ذو القرن الطويل، صاحب العينين اللامعتين المخيفتين والوجه الأزرق من الغضب، مع قوسه وعدة القتال الخاصة به، بسرعة من البحيرة المقدسة في الغرب لإنقاذ أطفال كياماكوا. ولكنه عندما وصل إلى هناك كانوا قد أنقذوا فعلاً، وبعد أن جال قليلاً في المنطقة وتأكد من موت جميع الذئاب قرر أن يسلخ جلودهم جميعاً.

ومنذ ذلك الوقت ستلاحظون أن الراقصين الذين يمثلون ذا القرن الطويل لديهم وجوه زرقاء، ومتى وصلوا إلى مدينتنا

ارتدوا عباءات من جلد ذئاب البراري وربطوها حول أعناقهم. وهذه هي الطريقة التي حصلوا بها على هذه القلائد، فهي لم تكن لديهم من قبل. ولربما هذا هو السبب وراء امتلاكهم لأصوات جهورية، فقد أصيبوا جميعاً بالزكام لافتقادهم سابقاً إلى عباءات الفراء.

وهكذا تنتهي حكايتي.

القيّوط والخنفساء

في قديم الزمان، وبعد أن استقر قدماؤنا في بيت النمل الأوسط، ظهر شيء صغير سيقدم الكثير من التوضيحات.

يا أبنائي، لا ريب أنكم شاهدتم الخنافس وهي تتراكض حولكم في خفة، وتلتصق بالأرض في الربيع وأوائل الصيف، وهي تضرب قوائمها في الهواء وتقحم رؤوسها في أي شق أو حفرة تعثر عليها.

حسناً، في الأزمنة القديمة، وعلى الطريق الذي يدور حول الجبل البدين، كانت إحدى تلك الخنافس تركض في جميع الاتجاهات تحت أشعة الشمس، عندما اقترب منها قيّوط. انتصبت أذنا القيّوط، وأخفض أنفه وقوس رقبته ومدّ مخالبه باتجاه الخنفساء. وقال: «أنت! سأعضك!».

وعلى الفور ألصقت الخنفساء رأسها قريباً من الأرض ورفعت أحد قرون استشعارها معترضةً وقالت: «تمهل! تمهل

لحظة يا صديقي! انتظر قليلاً، بحق الآلهة! فأنا أسمع شيئاً غريباً جداً هنا في الأسفل».

أجاب القيّوط: «وما الذي تسمعينه؟».

نادت الخنفساء ورأسها لا يزال ملتصقاً بالأرض: «صمتاً! صمتاً! استمع!».

وهكذا تراجع القيّوط واستمع بانتباه شديد، وشيئاً فشيئاً رفعت الخنفساء نفسها وأطلقت تنهيدة راحة.

قال القيّوط: «حسناً إذاً ما الذي يجري؟».

أجابت الخنفساء وهي تهز رأسها: «لقد أنقذتنا الأرواح الطيبة! لقد سمعتهم يقولون في الأسفل إنهم سيقومون في الغد بمطاردة جميع من دنس الطرقات العامة في هذه البلاد ومعاقبته، وهم يستعدون لذلك بأسرع ما يستطيعون!».

صرخ القيّوط: «يا أرواح أجدادي! لقد كنت أعبث على هذه الطريق منذ الصباح الباكر، ولقد دنستها مراراً، لابد من أنهم سيعاقبونني!». ثم هرب بعيداً بأقصى ما يستطيع من سرعة.

قامت الخنفساء مع الأرواح النقية الوفيرة، بالتشقلب في

الهواء وألصقت رأسها في الرمال حتى هدأ كل شيء.

هذا ما كانت تفعله الخنفساء في قديم الزمان لتنقذ نفسها من التعرض للعض. ولهذا فإن لدى الخنافس هذه العادة الغريبة بضرب أقدامها في الهواء ودفن رؤوسها في الرمال.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف رقص القيّوط مع طيور الشحرور

في يوم من أواخر الخريف أيام الأزمنة الغابرة، اجتمع مجلس كبير لطيور الشحرور، وراحت الطيور تتحدّث وتتندّر على المنحدرات الصخرية الملساء لجبل غورغ شمال زوني. كانت هذه الطيور مثلنا، كما تدركون جميعاً، تجتمع معاً في كل خريف، عندما تنضج المحاصيل لتقيم مهرجانها قبل التوجه إلى مساكنها الشتوية، الفرق بيننا وبينها أننا لا نذهب بعيداً، في حين أنها تمتلك أجنحة قوية ورشيقة، فتلجأ من حين لآخر إلى أرض الصيف الأبدي.

وفي ذلك الصباح تحديداً كانت تصدر ضجة كبيرة وهي تقيم حفلة رقص فخمة، اتخذت الشكل التالي: كانت الطيور تجتمع في سرب واحد كبير، وتأخذ أماكنها بحسب السن، على الجانب المنحدر من جبل غورغ، حيث يكون الطير الأكبر في المقدمة، يتبعه الصغار، وعلى طول المنحدر تأخذ في الزقزقة والتصفيق بأجنحتها وتقفز وهي تغني:

«يا طيور الشحرور، يا طيور الشحرور ارقصي ارقصي

يا طيور الشحرور، يا طيور الشحرور ارقصي ارقصي

على طول جبل غورغ يا طيور الشحرور

ارقصي

ارقصي»

ثم تبسط أجنحتها، وبالكثير من الرفرفة والهرولة والافتتان تطير في الهواء، وهي تدور في سرب أسود كثيف، وتشكل دائرة وتطير نحو الأعلى ونحو الأسفل، ثم تنعطف وتنقض نحو الأسفل، وتغطس نفسها في النبع الكبير، الذي يجري من سفح الجبل، وثم تعود إلى مكان الرقص على المنحدرات الصخرية.

كان هناك قيّوط يصطاد (كأنه سيمسك بشيء، هذا الوحش!) ورأى طيور الشحرور وابتهج جداً.

وقال: «أيتها المخلوقات الجميلة! أيتها الراقصة الرشيقة! يا بهجة أحاسيسي! كيف تفعلين ذلك على أي حال؟ وهل أستطيع أن أشاركك الرقص، على الأقل في القسم الأول منه؟».

قالت طيور الشحرور: «طبعاً بالتأكيد».

قال القيّوط: «حسناً، أستطيع الذهاب إلى المنحدرات الصخرية وأستطيع الغناء معك، ولكني أعتقد أنك عندما ستفرين في الهواء، فإنني سأبقى هنا بانتظارك، أربت على الصخرة مخلبي وذيلي وأغني ريثما تعودين».

قالت طيور الشحرور: «ربما يكون في استطاعتنا أن نجعلك تطير معنا».

قال القيّوط: «هذا مستحيل، ولكن أرجوك افعلي ذلك! ومعك بركة الخالدين! الآن، إذا استطعت فقط أن أدور في الهواء مثلك، فسأكون أكبر قيّوط في العالم!».

أجاب الشحرور العجوز: «أعتقد أن هذا سيكون سهلاً. يا أبنائي، أنتم كثيرون، والريش على أجنحتكم كثير أيضاً. فليقدم كل واحد منكم ريشة لصديقنا». وفعلاً قام كل واحد من طيور الشحرور بنزع ريشة من جناحه، ولكن لسوء الحظ انتزعوا جميعاً الريش من الأجنحة على الجانب نفسه.

أكمل الشحرور العجوز: «هل أنت متأكد يا صديقي من رغبتك في إتمام هذا الأمر، وإلصاق هذا الريش على جلدك؟ إن كان ذلك فأظن أن باستطاعتنا جعله ملائماً لك».

قال القيّوط: «أأرغب في ذلك؟ طبعاً أنا راغب في ذلك» ورفع إحدى ذراعيه وجلس مستقيماً باستخدام ذيله، ثم قامت طيور الشحرور بدفع الريش على طول قائمتيه الأماميتين من الخلف وعلى جانب ظهره حيث يجب أن تكون الأجنحة. كان هذا مؤلماً، فهز القيّوط شاربيه مراراً، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة، وعندما انتهت الطيور سألها: «هل صرت جاهزاً الآن؟».

أجابت طيور الشحرور: «أجل، نحن نظن أنك جاهز».

وأعادت تشكيل نفسها ثانية في القسم الأعلى من المنحدر، وغنت أغانيها، وقفزت على طول المنحدر مع الكثير من الرفرفة والهرولة والفرح ثم تطايرت بعيداً في الهواء.

كان القيّوط مشدوهاً بعض الشيء، وتخلف قليلاً عند الانطلاق ولكنه تبع الطيور بشجاعة، وهو يقفز قفزات كبيرة، ولكن كما قلت من قبل، كانت الأجنحة التي ُزود بها مؤلفة من ريش منزوع من جانب واحد، ولهذا طار بشكل مائل ولولبي حتى ارتطم بشدة بسفح الجبل، مما كاد أن يقطع أنفاسه. لكنه استجمع نفسه، وهز جناحيه ونادى على طيور الشحرور التي كادت أن تختفي: «انتظري! انتظري! انتظريني! لقد تركتني في الخلف!».

وعندما عادت الطيور قالت: «أجنحتك ليست سميكة بما يكفي يا صديقنا، وبالإضافة إلى ذلك، فحتى الشحرور الصغير الذي يتعلم الطيران لأول مرة، يفعل ما فعلته أنت تماماً، ولا ينجح بالضرورة».

قال الشحرور الكهل: «اجلس ثانية» ثم نادى على البقية: «احضروا لي ريشاً من الأجنحة على الطرف الآخر، وكونوا حذرين واختاروا بضع ريشات قوية من رؤوس أجنحتكم، لأننا باستعمال هذا الريش نخترق الهواء ونوجه تحركاتنا ونحافظ على طيراننا».

وقامت جميع الطيور بما طلب إليها وبعد زرع الريش الجديد، قام كل واحد منها بنزع ريشة من ذيله وقامت أمهر طيور الشحرور بإدخال هذا الريش إلى طرف ذيل القيّوط مما جعله يجفل أحياناً ولكنه وقف هناك بشجاعة، ورفع رأسه بفخر وهو يفكر طوال الوقت: «أي قيّوط رائع سأكون؟ هل سمع أحد من قبل بقيّوط يطير؟».

تشكّل السرب مرة أخرى. وذهبت الطيور على طول المنحدر نحو الأسفل وقفزت وهي تغني وطارت بعيداً في الهواء والقيّوط يطير في وسطها. حلقت عالياً في دوائر واسعة وكان القيّوط يقوم بذلك بحماس أكثر منهم. وأخيراً عادت وغطست في الينبوع واستقرت على المنحدرات الصخرية.

قال القيّوط وهو يرفرف بذيله الريشي: «حسناً، الآن أستطيع الطيران مثل بقيتكم».

أجابت طيور الشحرور: «فعلاً، تستطيع ذلك! هل نجرب ذلك مرة أخرى؟».

قال القيّوط: «أجل! أجل! أنا أشعر بالدوار قليلاً، ولكن هذه أفضل متعة حصلت عليها».

ولكن طيور الشحرور لم تكن راضية عن رفيقها، فقد وجدت أنه لا يرقص كما يجب، وأكثر من ذلك، فقد كان اندفاعه غير العادي في الهواء على غير ما تشتهي. وهكذا تهامس العجائز بينهم وقالوا: «هذا الفتى أحمق، وعلينا أن ننتف ريشه ما إن يصبح في الهواء. سنطير بعيداً جداً هذه المرة حتى يشعر بالتعب وينادي علينا لمساعدته».

أعيد تشكيل السرب، وقفزت الطيور على طول منحدر الجبل، ومع الكثير من الهرولة والرفرفة حلقت في الهواء. وتولى القيّوط القيادة وهو غير قادر على التحكم بنفسه. طارت وطارت بعيداً، كلٌّ من طيور الشحرور والذئب، وارتفعت أكثر فأكثر، ودارت في دوائر كبيرة حتى وجد

القيّوط نفسه يفقد ضربة جناح بين حين وآخر ويتأخر عن الصف. حينئذ بدأ ينادي: «ساعدوني! ساعدوني يا أصدقائي! النجدة!».

قالت طيور الشحرور: «لا بأس!»، وقال الكبار منها: «أمسكوا بأجنحته، وارفعوه!». وطارت طيور الشحرور نحوه، وفي كل مرة كانت تمسك به (والأحمق الهرم، كان يظن طوال الوقت أنهم يساعدونه) كانوا ينتزعون بعض الريش، وفي النهاية أصبح الريش رقيقاً جداً وبدأ القيّوط بالسقوط، وهوى نحو الأسفل مندفعاً في الهواء، وأنقذته الريشات القليلة المتبقية في سيقانه الأمامية وطرف ذيله من التحطم تماماً عند اصطدامه بالأرض بصوت مرتفع. وغاب عن الوعي تماماً، واستلقى هناك كأنه ميت منذ وقت طويل. وعندما استيقظ، هز رأسه بحزن، وعاد إلى منزله فوق الجبال والحزن يلوح في محياه، وذيله يتجرجر بين أرجله من الخيبة.

كان الكرب الناجم عن تلك السقطة كبيراً جداً، والحرارة التي تخلفت عن مجهوده عالية جداً، لدرجة أن الريشات التي بقيت في سيقانه الأمامية وذيله تجعدت جميعها وتحولت إلى خصل سوداء صغيرة بشعة من الشعر. وكان نسله كثيراً.

ولهذا غالباً ما ستلتقي وحتى يومنا هذا ذئاباً لها خصل شعر سوداء صغيرة على طول قوائمها الأمامية وأطراف ذيول سوداء.

هذا ما حدث في قديم الزمان.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف تغلب الغيلم بالخداع على القيّوط

في زمن الأقدمين، الموغل في القدم، عاش غيلم[1] عجوز بجانب النهر المتدفق الكبير على جبال زوني. وفي أحد الأيام خرج ليصطاد واستطاع بأساليبه البارعة أن يقتل غزالاً كبيراً، وعندما ألقى بالغزال على الأرض لم يجد أمامه وسيلة ليقوم بسلخه، فجلس يفكر وهو يحك جفن عينه بظفر قدمه الخلفية. واستنتج أن عليه الذهاب للبحث عن سكين صوانية. وهكذا انطلق قدماً ووصل بعد فترة إلى مكان ارتفعت فيه أبنية قديمة. ثم بدأ يتمتم أغنية سحرية قديمة، يقال إن القدماء اعتادوا غناءها عندما بحثوا عن الصوان ليصنعوا منه الخناجر، وغنى الأغنية التي قد تكون هذه ترجمة غير دقيقة تماماً لها ولكنها كافية:

«يا حجر الصوان الذي تشعل النار، أظهر نفسك!

يا حجر الصوان الذي تشعل النار، أظهر نفسك!

بالسحر! بالسحر!».

(1) ذكر السلحفاة(م).

وبينما كان يزحف في المكان وهو يغني، سمعه قيّوط كان يركض في الغابة وهتف: «أتساءل من الذي يغني وما الذي يقوله. أجل، إنه يبحث عن خنجر من الصوان، أليس كذلك؟ حتماً سيكون شخصاً قد قتل غزالاً!»، واستدار عائداً وركض إلى حيث الغيلم العجوز، وعندما اقترب منه ناداه قائلاً: «مرحباً يا صديقي! ألم أسمعك تغني؟».

أجاب الغيلم: «أجل».

«ما الذي كنت تغنيه؟».

«لا شيء بالتحديد».

«بلى، كنت تغني شيئاً ما، ما الذي كنت تقوله؟».

«أقول لك لا شيء بالتحديد، على الأقل لا شيء منه يخصك».

«لا، لقد كنت تغني شيئاً ما، وهذا ما كنت تقوله» وهكذا ردد القيّوط الذي لم يكن قادراً على غناء الأغنية الكلمات التي سمعها.

قال الغيلم: «حسناً أعتقد أني قد قلت ذلك، ماذا في الأمر؟».

أجاب القيّوط: «أنت كنت تبحث عن خنجر من الصوان، لهذا قلت ما قلته».

«حسناً، ما المشكلة في ذلك؟».

«لماذا تريد الخنجر الصواني؟».

أجاب الغيلم: «لا لشيء بالتحديد».

«لا، أنت تريده من أجل شيء ما، ما هو؟».

أجاب الغيلم: «أقول لك لا شيء بالتحديد، على الأقل لا شيء يخصك».

قال القيّوط «بلى، لقد أردته من أجل شيء ما، وأنا أعلم أيضاً ما هو».

سأل الغيلم الذي بدأ يشعر بالغضب: «حسناً، ما هو؟».

«أنت تريده لتسلخ غزالاً. أين هو الغزال الآن؟ لقد قتلت غزالاً وأنا أعلم ذلك. قل لي أين هو؟».

أجاب الغيلم: «حسناً، إنه هناك».

«أين؟ تعال، فلنذهب، سأساعدك على سلخ جلده».

أجاب الغيلم: «أنا أقدر على تدبر أمري جيداً من دونك».

«ماذا لو ساعدتك قليلاً؟ أنا جائع جداً منذ الصباح، وأود أن ألعق بعض الدم».

أجاب الغيلم: «حسناً إذن، تعال أيها المزعج!»، وبعد أن عثرا على الخنجر تابعا الطريق إلى حيث يوجد الغزال.

قال القيّوط: «دعني أمسكه من أجلك» ثم قفز فوق الغزال، وبسط قدمي الغزال الخلفيتين، ووضع مخلباً فوق كل منها وهو يمسك جسده ويبسطه، وهكذا بدآ بسلخ الغزال. وعندما انتهيا من هذا العمل، التفت القيّوط نحو الغيلم وسأله: «ماذا ستعطيني منه؟».

أجاب الغيلم: «الأجزاء المعتادة التي تحق لأي شخص يأتي بينما الصياد يقوم بسلخ الغزال».

سأل القيّوط بلهفة: «أي أجزاء؟»

أجاب الغيلم باختصار: «الكبد والمعدة».

انتحب القيّوط قائلاً: «أنا لن أقبل بهذا. أريدك أن تعطيني نصف الغزال».

أجاب الغيلم: «لن أقوم بشيء كهذا. أنا قتلت الغزال، وأنت فقط قمت بالمساعدة في سلخه، وعليك أن تقنع بما أمنحك إياه سأضيف عليه بعض الدهن وبعض الأمعاء، ولكني لن أضيف شيئاً آخر».

زمجر القيّوط وأظهر أنيابه: «بلى، ستفعل».

أجاب الغيلم بتعمد وهو يهز واحداً أو اثنين من زعانفه: «أحقاً؟».

«بلى، ستفعل، أو سأقتلك ببساطة، هذا كل ما في الأمر».

وفوراً قام الغيلم بسحب أقدامه ورأسه وذيله إلى الداخل، وقال: «سأقول لك شيئاً، لن أعطيك إلا المعدة والكبد وبعض أمعاء الغزال!».

قفز القيّوط وقال: «حسناً، إذن سأقتلك!» وأمسك بالغيلم وقضمه وبدا صوت أنيابه كأنها تتكسر على القوقعة الصلبة للغيلم، وكلما هم بعضه هكذا، انزلق الغيلم ببساطة من فمه. وقلّب الغيلم بين مخالبه كأنه عظمة، وقضمه، وكان القيّوط يفعل أفضل ما بوسعه غير أن أنيابه استمرت بالانزلاق عن قوقعة الغيلم القاسية. وهتف أخيراً بكراهية شديدة: هناك أكثر من

طريقة واحدة لقتل وحش مثلك!». ثم أمسك الغيلم باستقامة والتقط بعضاً من الرمل وأدخله إلى الفوهة حيث اختفى رأس الغيلم واستعان بأحد العيدان حتى ملأ الفجوة تماماً ثم هتف قائلاً: «هاك، الآن»، وهو يهمهم من الفرح «أظن أني قد انتهيت منك الآن أيتها القوقعة القاسية العجوز، وتخلصت منك تماماً أيها الصندوق القذر». ثم أسرع نحو اللحم.

اعتبر الغيلم أن من الأفضل له أن يموت كما هو، ولكنه استمع إلى ما كان يجري في الخارج. فقد قام القيّوط بتقطيع الغزال وجمعه في حزمة من جلده الخاص. ثم قام بغسل معدته في جدول قريب وملأها بقطع من الكبد والكلى، وبعض الدهن الذي انتزعه من الأمعاء، وخثرات من الدماء، ووضع فيه بعض الأعشاب التي جمعها من هنا وهناك. ثم وحسب عادة الصيادين في ذلك الزمان قام بصنع فرن في الأرض ودفن تحته المعدة المحشوة لكي يصنع منها سجقاً محمصاً خلال الوقت الذي سيستغرقه الذهاب لاستدعاء عائلته وأصدقائه لمساعدته على حمل اللحم إلى البيت.

أزال الغيلم الرمل المتراكم حول رقبته قليلاً وأخرج رأسه بقدر ضئيل جداً. وسمع الأصوات التي أصدرها القيّوط أثناء محاولته

رفع اللحم لتعليقه على غصن من شجرة الصنوبر المجاورة. وكان يقول: «بالتأكيد، يا لي من شخص محظوظ لعثوري على ذلك العجوز الشقي الضعيف اليائس ولأحصل على كل هذا اللحم من دون تكبد عناء صيده بنفسي، يا أطفالي الأعزاء ويا زوجتي العجوز اللطيفة، يا لها من وليمة سنقيمها في هذا اليوم!». فكما تعلمون فإن للقيّوط عائلة كبيرة، وكان يهتف بقوله ذاك عندما سمع صوتاً ضعيفاً يصدر عن الغيلم.

زمجر القيّوط: «أيها الوغد الهرم ذو الغطاء القاسي! أيها الوحش القبيح ذو الأقدام المعوجة! أيها الصندوق ذو الرائحة النتنة! أنت حي إذن أليس كذلك؟»، وألقى باللحم الذي يحمله، وعاد إلى حيث يوجد الغيلم الذي سحب رأسه إلى الداخل ثانية، حيث علق بالرمل الذي يملأ القوقعة مما جعلها قاسية جداً ومتماسكة. عندها ضرب القيّوط القوقعة بطرف أنفه وأرسلها لتتدحرج مراراً مثل صخرة دائرية على طول المنحدر.

فكر الغيلم: «هذه هي المعاملة التي أستحقها على يدي جرو محتال مثل هذا. أظن أني سأبقى هادئاً هذه المرة وأدعه يفعل ما يرضيه، فأنا بحنكتي قتلت الغزال وباستعمال الحنكة نفسها سأحتفظ بالغزال».

وهكذا بدا الغيلم ميتاً لأعين جميع الناظرين إليه، وغادر القيّوط تاركاً اللحم معلقاً على غصن شجرة خفيض وبعد أن أشعل النار في الفرن الذي حفره في الأرض، أسرع وذيله مرفوع في الهواء إلى منزله على الطرف الآخر للجبل.

وعندما وصل إلى هناك نادى: «يا زوجتي! يا زوجتي! يا أطفالي! تعالوا بسرعة! لدي أخبار رائعة! لقد قتلت غزالاً هائلاً اليوم وصنعت سجقاً مدمى من معدته ودفنته، فلنذهب ونقم وليمة، ثم عليكم مساعدتي في إحضار اللحم إلى المنزل».

كانت هذه الذئاب برية تماماً. وكانت الجراء التي قاربت البلوغ، بأذيالها الأقرب إلى الشكل العصوي منه إلى شكل الفرشاة، ترتجف من قمة أظافرها حتى أطراف ذيولها، وانطلقت جميعاً تتبع بعضها بعضاً في صف واحد بأسرع ما تستطيع نحو المكان الذي دفن فيه السجق.

ولكن ما إن شعر الغيلم العجوز بذهاب القيّوط، حتى أخرج الرمل من قوقعته بمخالبه القاسية، واقترب من المكان الذي علّق فيه اللحم. في البداية سحبه قطعة قطعة نحو قمة الشجرة، فكما تعلمون السلاحف لها مخالب وتستطيع التسلق، خاصة إذا كان جذع الشجرة مائلاً قليلاً، مثل هذه الشجرة. وبعد أن سحب

اللحم إلى قمة الشجرة قام بربطه هناك بشكل جيد، ثم نزل إلى حيث دفن السجق المدمى. وأبعد الجمرات عنه ثم أخرجه، ثم جرّه إلى بيت نمل مجاور حيث يتجمع النمل الأحمر الصغير بأعداد كبيرة. وفوراً وما إن اشتم النمل رائحة اللحم المطبوخ حتى أسرع بالخروج وحل الغيلم نهاية المعدة وألقى في داخلها أكبر عدد ممكن من النمل. ثم جرها ثانية إلى النار ووضعها في الفرن، وحرص ألا يقترب الفحم المشتعل منها.

بالكاد تمكن الغيلم من تسلق الشجرة ثانية واتخذ لنفسه مكاناً فوق حزمة اللحم. عندما وصلت الذئاب كانت متلهفة للوليمة، وبينما اقتربت من المكان شمّت رائحة الدم واللحم المطبوخ، وبدأت بالغناء والرقص وكان من الصعب ترجمة هذه الأغنية لأنها قديمة جداً ولم يعد أحد يستطيع أن يتذكر ماذا تقول تماماً إلا أنها تعني شيئاً كهذا:

«يا لحم الغزال! يا لحم الغزال!

يا لحم الغزال الشهي كالفاكهة

يا لحم الغزال الشهي كالفاكهة!

الشهي كالفاكهة! الشهي كالفاكهة».

وسرعان ما اقتربت من البقعة التي تصدر منها رائحة اللحم، ومن دون أن تنظر حولها، تحلقت حولها في شكل دائري، بيد أن القيّوط العجوز أمسك بآخر الصغار بقوة جعلته يصرخ ثم هزه، ونادى على البقية: «اسمعوني جميعاً! تناولوا الطعام بطريقة مهذبة أو ستحرقون أطراف أصابعكم! لقد ملأت السجق بالدهن، وفي اللحظة التي ستقطعونه فيها فإن الدهن الحار سيتبعثر ويحرقكم. كونوا حذرين ومحترمين يا أطفالي فهناك الكثير من الوقت وستشبعون جميعاً، لا تختنقوا بالقضمة الأولى!».

ولكن في اللحظة التي تحررت فيها الذئاب الصغيرة هجمت بقفزة كبيرة على الطعام المغري، ومزقته حتى انفتح، وقضمت ملء أفواهها. كان النمل متضايقاً جداً كما هو متوقع واندفع على شفاه الذئاب الصغيرة النهمة ووجوهها، وقام بلدغها حتى بدأت بالصراخ وهي تهزّ رؤوسها وتفركها بالرمال.

قال القيّوط الهرم وهو يجثم على الأرض: «ألم أحذركم أيها الحمقى الصغار؟ لقد أحرقكم الدهن. والآن أتمنى أن تكونوا قد تعلمتم الأكل باعتدال أكثر، فهناك الكثير من الوقت لتشبعوا أنفسكم».

ثم انقضت الجراء الصغيرة ووالدتها العجوز على الطعام ثانية، ومرة أخرى صرخت بألم وهي تهزّ رؤوسها وتفرك وجوهها وسرعان ما ابتعدت جميعاً وأقعت على الأرض وهي تراقب ذلك الطعام الشهي الحار [1].

ثم نظر القيّوط حوله ولاحظ أن اللحم قد اختفى، وتابع بقع الدم والشحم على الشجرة بعينيه حتى رأى في أعلاها حزمة اللحم وقد استقر الغيلم فوقها مستريحاً بعد أن مدد رأسه على يده. رفع الغيلم رأسه وهتف محيياً القيّوط.

صرخ القيّوط في فورة غضب وخيبة أمل: «أيها الوحش ذو الدرع القاسي! ألق بعضاً من ذلك اللحم، الآن، هلا فعلت. لقد قتلت ذلك الغزال وأنت فقط ساعدتني بسلخه، وها أنت ذا قد سرقت كل اللحم. زوجتي! أطفالي! ألم أقتل ذلك الغزال؟»، قال ذلك وهو ينظر إلى زوجته وأطفاله.

أجابوا معاً كجوقة واحدة، وهم ينظرون بلهفة إلى حزمة اللحم في أعلى الشجرة: «طبعاً فعلت، وقد تسلل ذلك الشقي العجوز ليسرقه منك!».

---

(1) سيكون من الجيد أن نشرح هنا أنه لم يعد هناك وجود للدغات النمل الأحمر أو نمل النار في الجنوب أو المناطق الاستوائية والذي يسمى هالو في زوني. ذلك أن لدغاته في السابق كانت تنتج بثرات وفقاعات كبيرة تمتلئ بالقيح، وكانت في ذلك الوقت تسمم الدم وتسبب الشعور بالحرقة في جميع أنحاء الجسم (كاشنغ).

قال الغيلم: «من يقول إني سرقت اللحم منك؟ أنا فقط احتفظ به هنا في الأعلى لأحميه من السرقة، أيها المجرم! انتشروا حتى تمسكوا بعضاً منه. سألقي زوجاً من الأضلاع لم تر أفضل منه في حياتك. هاك، الآن تمددوا واقتربوا من بعضكم، هل أنتم جاهزون؟» قال ذلك بينما استلقت الذئاب على ظهورها جنباً إلى جنب ورفعت قوائمها الأمامية بأعلى ما تستطيع نحو اللحم وهي ترتجف بلهفة. ثم هتفت بصوت واحد: «أجل! أجل، نحن جميعاً جاهزون! هيا الآن!».

التقط الغيلم زوجاً من الأضلاع، وأمسكها بفمه وزحف حتى نهاية الغصن الممتد فوق الذئاب مباشرة، وبعد تلويحة جيدة ألقى بهما بأقصى ما يستطيع من قوة فسقطا من الأعلى مثل زوج من الحجارة على أجساد الذئاب لتحطم عظامها حتى لم تعد تقوى على التنفس أو الصراخ وقتل معظمها على الفور. لكن الجروين الصغيرين على كلا الطرفين هربا وقد أصيبا بجرح صغير أو اثنين، وبعد أن صرخا مذعورين، وضع أحدهما ذيله بين ساقيه وهرب بعيداً، في حين أن الآخر، والذي كان لا يزال جائعاً، ركض جانباً بذيل منخفض وأنفه إلى الأرض، ثم جلس وهو ينظر إلى الأعلى. وسرعان ما بدأ

يفكر بالعودة إلى حيث بقية الذئاب ليأكل بعضاً من لحم الأضلاع.

نادى الغيلم العجوز: «انتظر، لا تقترب من اللحم، دعها وشأنها من أجل أبويك وإخوتك وأخواتك. حقاً أنا هرم جداً وبطيء لدرجة أنه لزمني وقت طويل لأصل إلى نهاية الغصن وأظن أنهم أخلدوا للنوم بينما وصلت إلى هناك، انظر إليهم وهم يستلقون بلا حراك».

هتف القيّوط الصغير وهو ينظر إليهم: «بحق أجدادي! هذا صحيح!».

قال الغيلم: «لماذا لا تصعد إلى هنا وتشاركني الطعام، وتدع ذلك اللحم من أجل إخوتك وأخواتك ووالديك؟».

انتحب القيّوط الصغير وهو يزحف إلى جانب الشجرة: «كيف لي أن أصل إلى هناك؟».

أجاب الغيلم: «ببساطة، حاول أن تضع إحدى قوائمك الأمامية فوق أحد الأغصان وارفع نفسك وهكذا دواليك».

شد القيّوط الصغير نفسه وقفز، ولكن رغم أنه في بعض

الأحيان نجح في وضع مخالبه على الغصن إلا أنه كان يسقط إلى الخلف في كل مرة، ثم ينهض ويتألم كأن كل عظامه قد تكسرت.

قال الغيلم: «لا تهتم! لا تهتم. سأنزل إلى الأسفل وأساعدك»، وهكذا زحف نحو أسفل الشجرة، أمسك بالقيّوط الصغير من رأسه وبعد جهد جهيد تمكن من التسلق نحو الأعلى. وعندما وصلا إلى أعلى الشجرة، قال الغيلم العجوز: «هاك، اخدم نفسك».

أكل القيّوط الصغير وملأ معدته حتى أصبح مدوراً مثل الخوخ ولدناً مثل التوت البري. ثم نظر حوله ولعق أصابعه وحاول أن يتنفس، إلا أنه لم يستطع التنفس كالمعتاد وقال: «يا إلهي! إذا لم أحصل على بعض الماء فسأختنق!».

قال الغيلم: «يا صديقي! هل ترى قطرة الماء التي تلمع في ضوء الشمس عند نهاية ذلك الغصن من شجرة الصنوبر؟ لقد عشت في أعالي الأشجار زمناً طويلاً حتى بتّ أعرف إلى أين أذهب. الأشجار فيها ينابيع. انظر إلى ذلك» (في الحقيقة كان الأمر خدعة).

نظر القيّوط الصغير واقتنع بما قاله الغيلم العجوز.

«امش الآن حتى نهاية الغصن، أو حتى تصل إلى إحدى نقاط الماء هذه، ثم ضعها في فمك وامتصها وسيتدفق منها الماء الذي تريده».

بدأ القيّوط الصغير المشي وكان يرتجف ولم يكن ثابتاً على قدميه ولكنه تمكن من قطع نصف الطريق. ثم التفت ونظر نحو الخلف ونادى على الغيلم: «أهي هنا؟».

قال الغيلم: «لا، قليلاً بعد».

وهكذا خطا بحذر أبعد قليلاً ولكن الغصن كان يتمايل بشدة. ثم أدار رأسه وفي اللحظة التي كان يقول فيها: «أهي هنا؟» فقد توازنه وسقط ليرتطم بالأرض الصلبة بشدة ويموت فوراً.

تنهد الغيلم العجوز تنهيدة راحة ورضا وقال: «ما رأيك الآن أيها الوحش الشقي! قتلت الغزال بحنكتي، وتمكنت من الاحتفاظ به بحنكتي».

يجب ألا ننسى أن أحد الذئاب الصغيرة استطاع الهرب،

وكانت له ذرية كبيرة، ومنذ ذلك الحين أصبحت البثرات تغطي وجوهها حيث ينمو شاربها، وبعض اللطخ في الجانب الداخلي من شفاهها مثل التي نراها في الطرف الداخلي من شفاه الكلاب.

وهكذا تنتهي حكايتي.

القيّوط والجندب

في زمن الأقدمين، عاش قيّوط كهل في جنوب زوني، خلف لسان من الصخور، في مكان يدعى سوسكي أشوكتون[1].

وعلى هذا الجانب من اللسان الصخري، على ضفة واد جاف ومرتفع عاش جراد عجوز، بالقرب من شجرة صنوبر منحنية ومجردة من أوراقها الإبرية لدرجة أن أشعة الشمس كانت تغمرها تماماً.

خرج القيّوط في أحد الأيام ليصطاد وترك عائلته الكبيرة من أطفال وزوجة عجوز في المنزل. كان يوماً جميلاً والشمس مشرقة، وقد زحف الجندب الطاعن في السن خارجاً من منزله في تربة الجدول وتسلّق أحد الأغصان العارية من شجرة الصنوبر، ثم شبك قدميه بقوة في اللحاء وبدأ يغني ويعزف على الناي. ووصل القيّوط الذي كان يتجوّل في اللحظة عينها التي بدأ فيها الجندب غناء هذه الكلمات:

(1) مغارة الذئاب الصخرية (كاشنغ).

«أيها الجندب الذي يعزف على الناي

أيها الجندب الذي يعزف على الناي

يتشبّث بقوة عالياً على فرع شجرة صنوبر

ويعزف على الناي

ويعزف على الناي».

قال القيّوط وهو يجثم على الأرض وينظر نحو الأعلى، وقد انتصبت أذناه وارتسمت ابتسامة على فمه: «يا لبهجتي، يا لبهجتي أنت تعزف الناي بشكل رائع!».

قال الجندب وهو يكمل الأغنية: «أتظن ذلك؟».

قال القيّوط وهو يقترب أكثر: «يا للسماء، أجل! ما هذه الأغنية! أرجوك أن تعلمني إياها حتى أعود بها إلى المنزل وأرقص على أنغامها مع أولادي، فلي عائلة كبيرة في المنزل».

قال الجندب: «لا بأس، استمع إذن»، وبدأ بالغناء مرة ثانية.

هتف القيّوط: «هذا رائع! هل أحاول الآن؟».

«أجل، حاول».

حينئذ وبصوت أجش غنى القيّوط أغنية الجندب، فكانت الأغنية نصفها عواء ونصفها غناء (وبالتأكيد قام بارتكاب العديد من الأخطاء هنا وهناك)، ومع ذلك حافظ تكراره لهذا الأداء على القليل من النغم.

ضحك القيّوط عندما انتهى وقال: «لقد أتقنتها أليس كذلك؟».

قال الجندب: «أجل، نعم بشكل بسيط».

«حسناً إذنً، الآن فلنغنها ثانية معاً».

وبينما عزف الجندب على الناي غنى القيّوط بصوت أجش، ولكن الأغنية كانت أفضل من المرة الأولى.

هتف القيّوط وهو يلوح بذيله: «ما رأيك الآن؟ ألم أقل لك؟» ومن دون أن ينتظر ليقول كلمة أخرى، أسرع نحو منزله خلف اللسان الصخري. وبينما يركض نحو السهل واصل تكرار الأغنية لنفسه، حتى لا ينساها وهو يلقي بنظره في الهواء، في تقليد لطريقة البشر عندما يحاولون أن يتذكروا أو يقولوا شيئاً معيناً، حتى إنه لم يلاحظ السنجاب الهرم يحدق فيه وقد سبقه في الطريق، و نصب له فخاً في حفرته.

أقبل القيّوط وهو يهرول ويغني، عندما تعثر فجأة ووقع رأساً على عقب وسقط في حفرة السنجاب. عطس القيّوط وبدأ بالسعال وبفرك الرمل الذي دخل في عينيه ثم قفز إلى الخارج، وشتم السنجاب بشدة، وحاول استعادة أغنيته، ولكنه لدهشته اكتشف أنه قد نسيها تماماً.

صرخ القيّوط: «أيها السنجاب ضخم الخدين! أتمنى أن تصيبك جميع الأمراض في أراضي الشياطين. إنهم يحفرون جحورهم ولا يستطيع أحد أن يذهب إلى أي مكان بأمان. والآن لقد نسيت أغنيتي، حسناً سأركض عائداً إلى الجندب الطاعن في السن ليغنيها من أجلي ثانية! لا شك عندي أنه لا يزال هناك عند غصن شجرة الصنوبر»، ومع قوله هذا، أسرع عائداً بأقصى ما يستطيع. وعندما وصل إلى شجرة الصنوبر، وجد بالتأكيد الجندب الهرم لا يزال جالساً وهو يغني.

هتف القيّوط قبل أن يصل إلى المكان: «يا صديقي! يا لي من محظوظ! لقد حفر السنجاب السمين ضخم الخدين حفرة في طريقي تماماً وكنت أغني أغنيتك الممتعة، التي استغرقت فيها تماماً حتى وقعت على رأسي في الفخ الذي نصبه من أجلي، ومن شدة دهشتي واستغرابي نسيت كل ما يتعلق بالأغنية، أقسم على ذلك، ولذا عدت لأطلب منك أن تغنيها من أجلي ثانية».

قال الجندب الهرم: «حسناً جداً! ولكن كن حذراً هذه المرة»، وقام بغناء الأغنية مرة أخرى.

هتف القيّوط «جيد! لن أنسى هذه المـرة». وتحرك بخفة وأسرع نحو منزله خلف اللسان الصخري. وقال في نفسه وهو يمضي: «يا إلهي! يا لها من أغنية جيدة لأطفالي! كم سيكونون مسرورين عندما يسمعونها وسيرقصون بينما أنا أغني! فلنر كيف يسير الأمر!».

وفجأة حلق سرب من الحمام خارجاً من الشجيرات عند قوائمه تماماً، وهو يصدر أصواتاً من الطنين والصفير حتى كاد القيّوط يتعثر خائفاً، وعندما استجمع شتات نفسه، لعن الحمام بشدة، ودعاها «ذات الظهور الرمادية، وحشرات الحصاد العديمة الفائدة»، وما بين غضبه وخوفه، كان ينتفض بشدة حتى إنه نسي أغنيته.

في تلك الأثناء استنتج الجندب بحكمة أن هذه هي الحالة، وبما انه لم يستلطف القيّوط كثيراً، فقد أخـبروه أنه في بعض الأحيان يكون بعض أفراد قبيلته من الذئاب لطفاء مع الجنادب والحـشرات الأخـرى، ولكن في الأحـيـان الأخـرى يحدث العكس، وقرر القيام بخدعة ليلقن القيّوط درساً في الاهتمام

بأموره الشخصية. وهكذا أمسك باللحاء جيداً، وشد بقوة حتى انفتح ظهره، ثم انسلخ من جلده وزحف إلى أسفل الشجرة، ووجد بقعة مناسبة يتمركز فيها، وبما أنه ذو لون فاتح ونقي، فهو يستطيع تغيير لون جلده كما يشاء. وبحذر شديد أخذ حصاة صغيرة من أسفل الشجرة ووضعها بحذر في الجلد الفارغ. ثم ألصق الظهر ببعضه برقعة وترك شبيهه المماثل باللحاء ثم طار إلى شجرة مجاورة.

وسرعان ما عاد القيّوط إلى رشده ليكتشف أنه نسي الأغنية مرة أخرى فهتف ثانية: «لا ريب في أنه لا يزال هناك وهو يعزف على الناي، سأذهب إليه وأطلب منه أن يغنيها مرة أخرى». وركض عائداً مرة أخرى بأسرع ما يستطيع.

هتف القيّوط وهو يقترب من المكان: «أنا متعب جداً من كل هذا الجري الإضافي في المكان، ولكنه ليس مهماً، أنا أرى انك لا تزال هنا يا صديقي. لقد طارت أمامي الكثير من الحمائم ذات الظهور الرمادية وأنا أغني، ولقد أجفلتني بشدة حتى إني نسيتها، ولكني أؤكد لك، لقد شتمتها بشدة! يا صديقي، هل ستكون طيباً بما يكفي كي تغنيها لي مرة أخرى؟».

وتوقف في انتظار الجواب، ولكن لم يأته.

صرخ القيّوط بأعلى صوته وهو يركض ليدنو منه، وينظر عن قرب ويمعن النظر في الجندب: «ما الأمر؟ ألا تسمعني؟ لقد قلت إني أضعت أغنيتي، وأريدك أن تغني لي مرة أخرى. فهل ستفعل ذلك أم لا؟» ثم انتظر.

أكمل القيّوط وهو يشعر بالغضب: «اسمعني هنا، هل ستغني لي أم لا؟».

لا جواب.

مد القيّوط أنفه، وزمّ شفتيه وزمجر: «اسمعني هنا، هل ترى أنيابي؟ حسناً، سأطلب إليك أربع مرات أخرى أن تغني لأجلي، وإذا لم تفعل فسأقتلك في ثانية. هل ستغني من أجلي؟ مرة واحدة. هل ستغني من أجلي؟ ثانية. مرتين أخريين! انتبه! هل ستغني لي مرة أخرى؟ هل أنت أحمق! ألا ترى أنيابي؟ فقط مرة أخرى! هل ستغني من أجلي؟».

لا جواب.

صرخ القيّوط وهو غير قادر على ضبط نفسه لفترة أطول: «حسناً، هل أنت أحمق!»، وقفز قفزة سريعة، وأنشب أنيابه في جلد الجندب، ولدرجة أنه كسر أنيابه في منتصف فكه،

فانغرز بعض منها عميقاً في لثته أكثر مما يمكن رؤيته وضغط على الأخرى حتى أصبحت أنياباً عادية. أسقط القيّوط الحجارة من فمه وتدحرج على الرمال وهو يتلوى من الألم. ثم نهض وهز رأسه، وركض بعيداً وذيله بين ساقيه. كان ألمه كبيراً جداً لدى وصوله إلى الجدول الأول في الطريق حتى إنه انحنى ليشرب الماء ليخفف من ألمه، ومن هناك تستطيع أن تلاحظ معي في أفواه كل قيوط نمسك به، أن الأسنان التي خلف الأنياب جميعها مغروزة نحو الأسفل، حتى إنك لا تستطيع أن ترى منها إلا رؤوسها التي تبدو كأنها مكسورة.

في قديم الزمان لم تكن الذئاب تهتم بشؤونها الخاصة ولا تستطيع السيطرة على غضبها. وهكذا عض القيّوط الجراد والذي كان جلداً فقط مع حجارة في داخله. وورث نسله كله أسنانه المكسورة. وهكذا إلى يومنا هذا، عندما يغامر الجندب بالخروج في يوم مشمس ليغني أغنية، لا يصبح مستغرباً الطريقة التي يتبعها في حماية نفسه من عواقب جذب الانتباه إليه، إذ يتخلص من جلوده ويتركها على الأشجار.

وهكذا تنتهي حكايتي.

القيّوط والغرابان اللذان يتسابقان بالعيون

في غابر الزمان، أيام الأقدمين، عاش قيّوط في هوماياكوين، أو وادي السدر، وهو بلا شك القيّوط نفسه الذي أخبرتكم عنه بأنه تصادق مع طيور نقار الخشب. وكما تعرفون فإن هذا الوادي الذي عاش فيه يقع في سفح الجرف الشرقي العالي من «جبل الوجه».

خرج هذا القيّوط ليتمشى في أحد الأيام. وعند مغادرته لمنزله قال إنه ذاهب للصيد، ولكن يا لصديقنا التعيس هذا! من يعرف قيّوطاً استطاع صيد شيء فعلاً، إن لم يكن كلب مروج أو جرذ خشب أو جندباً أو شيئاً من هذا القبيل؟ولذلك تستطيعون أن تثقوا تماماً أنه كان يتريض، وهو يتسكع في المكان ليستطلع ما هو متاح رؤيته.

عبر الوادي باتجاه الشمال، وهو يجر ذيله في مختلف الاتجاهات، حتى وصل إلى مكان في جبل الرعد يدعى

شوتونبيا[1]. تسلق القيّوط سفح الجبل وعبر المرتفع نحو قاعدة المنحدر، وهكذا باتجاه الزاوية الجنوبية من الجبل، حيث يوجد عمود صخري صغير ذي قمة دائرية لا يزال منتصباً هناك إلى يومنا هذا.

وفي أعلى هذه الصخرة المنتصبة أقعى غرابان عجوزان، يجولان ببصرهما. استقر أحدهما على الصخرة مشيراً بمنقاره مباشرة نحو الطرف المقابل من الـوادي حيث بعض ذرى المنحدرات على المرتفعات المقابلة. ثم يقول لرفيقه من دون أن يحرك رأسه على الإطـلاق: «أتـرى تلك الصخرة هناك؟ حسناً! اذهبا يا عيني حول تلك الصخرة المنتصبة هناك ثم عودا إلي ثانية». ثم يخفض رأسه، وتقسو رقبته وتضيق أجفان عينيه وفجأة! تخرج عيناه من محجريهما وتنطلقان نحو الصخرة التي أشار إليها مثل ضربتين من البرق فتدوران حولها قبل أن تعودا إلى الغراب ثانية، وبينما هما عائدتان ثانية يبتلع لعابه ويقول «ووووووو» إلى أن تنزلق عيناه إلى محجريهما ثانية بصوت طقطقة خفيف. ثم يستدير نحو رفيقه ويبتلع لعابه أكثر كأنه يحاول تقيؤ رقبته ويضحك بهستيرية ويشاركه الآخر الضحك، وقد انتصب ريشهما بكامله.

(1) حيث تعلق الأصداف المرصعة (كاشنغ).

ثم يأخذ الآخر موضعه ويقول: «سأتفوق عليك! أترى تلك الصخرة البعيدة هناك؟» ثم يبدأ بعصر أجفانه لتخرج عيناه من محجريهما وتطيرا عبر المرتفع وحول الصخرة التي قاما بتحديدها وبينما هما تعودان ثانية، يخفض جسده ويقول: «ووووووووووو» لتنزلق عيناه إلى محجريهما ثانية بصوت طقطقة خفيف. وكما حمل هذا الأمر التسلية للغرابين منذ البداية، دفعهما ثانية إلى الضحك مع بعضهما.

سمع القيّوط الغرابين يترنمان بعودة أعينهما إلى محاجرها والأصوات التي يصدرانها وكذلك ضحكاتهما الغامرة مما سرّه بشدة، حتى إنه رفع ذيله في الهواء باستقامة شديدة وضحك بمرح لمجرد رؤيتهما يضحكان. وسرعان ما فقد السيطرة على نفسه تماماً وقال لهما بصوت رفيع حاد: «يا أصدقائي، إني أتساءل ما الذي تفعلانه وكيف تقومان به؟».

نظر الغرابان إلى الأسفل، وعندما رأيا القيّوط ضحكا وقرصا بعضهما بأجنحتهما وهتفا: «لتباركك الآلهة! يسرنا قدومك!».

سأل القيّوط: «ما الذي تفعلانه؟ بحق نور الآلهة إنه مضحك مهما كان!» وبينما يقول ذلك أخذ يهز ذيله ويضحك مقترباً من الغرابين.

قال الغراب الأكبر: «نحن نتسابق باستخدام أعيننا. ألم تر أحداً يسابق بعينيه من قبل؟».

هتف القيّوط: «لا، تتسابقان بأعينكما! كيف يمكن القيام بذلك؟».

قال أحد الغرابين وهو يجلس: «هكذا. أترى تلك الصخرة الطويلة هناك؟ حسناً، إلى الصخرة الطويلة هناك. فلتذهبا يا عينيّ حولها وتعودا إلي!» وسمع صوت طقطقة خفيف وخرجت عيناه من محجريهما وبقي الغراب يحتفظ برأسه ثابتاً تماماً، وانتظر عودة عينيه وجفناه العلويان قد تغضنا على السفليين، وفيما هما تقتربان جثم على الأرض وغارت رقبته وهتف: «ووووووووووو» وعادت عيناه إلى محجريهما ثانية وهما تصدران صوت طقطقة خفيف. ثم استدار الغراب نحو القيّوط وأراه عينيه السوداوين اللامعتين كما من قبل وقال: «هاك، انظر. ألم أخبرك؟».

صرخ القيّوط وهو يقترب منهما أكثر: «بحق القمر! كيف تستطيع فعل هذا؟ إنه من أروع الأشياء التي رأيتها في حياتي وأكثرها متعة!».

قال الغراب: «تعال إلى هنا بقربي وسأريك كيف تفعل هذا». ثم جلس الغراب الآخر وخرجت عيناه من محجريهما ودارتا حول صخرة أبعد من سابقتها وعادتا ثانية وهو يهتف «ووووووووووو» إلى مكانهما وهما تصدران صوت الطقطقة الخفيف نفسه. ثم استدار نحو القيّوط وهو يضحك وقال: «هاك، انظر! ألم أقل لك؟».

قال القيّوط: «بحق نور الآلهة! أتمنى لو أني أستطيع فعل هذا! هل أحاول بعيني؟».

قال الغرابان: «أجل، إذا أردت ذلك لتتأكد! هل تريد حقاً أن تجرب هذا؟».

أجاب القيّوط: «أريد ذلك حقاً».

قال الغرابان وهما يفسحان له في المجال: «حسناً إذاً، تعال واجلس هنا على هذه الصخرة وثبت رأسك باتجاه تلك الصخرة وقل: «يا عينيّ، اذهبا حول تلك الصخرة وعودا إلي».

صرخ القيّوط قائلاً: «أعلم ذلك! أعلم ذلـك!» وجلس كما أخبراه وعصر وتأوه بشدة ليجبر عينيه على الخروج من محجريهما ولكنهما لم تفعلا ذلك. فقال القيّوط: «كيف أجعل عيني تخرجان من محجريهما؟».

قال الغرابان: «ألا تعرف كيف تقوم بذلك؟ حسناً، فقط ابق ثابتاً وسنساعدك، سنخرجهما من أجلك».

قال القيّوط وهو غير قادر على الصبر: «لا بأس! حسناً إذن. أسرعا! أسرعا! أنا جاهز تماماً!» وجثم على الأرض ووضع ذيله مستقيماً تماماً وابتلع رقبته وجاهد بكل عضلة من عضلاته ليجبر عينيه على الخروج من رأسه. أخرج الغرابان عينيه بلمحة بارعة من منقاريهما خلال وقت لا يذكر، وأرسلوهما لتطيرا فوق الوادي. صرخ القيّوط قليلاً عندما خرجتا من مكانيهما ولكنه وقف ثابتاً في مكانه، وانكمشت رقبته وانتظر عودة عينيه.

قال الغرابان: «فلندع هذا الوحش الأحمق يذهب من دون عينيه، إذ كان متلهفاً للتخلص منهما كي يقوم بشيء لا يخصه فلندعه يذهب من دونهما!» وعندها طارا عبر الوادي وأمسكا بعينيه والتهماهما ثم استمرا في الطيران وهما يضحكان على المأزق الذي وضعا القيّوط فيه.

وقد جلس القيّوط هناك المدة المناسبة من الزمن ثم فتح فمه وقال: «ووووووووو!» ولكنه انتظر من دون جدوى عودة عينيه إلى مكانهما وقال: «ووووووووو» مرة أخرى بلا جدوى. ثم هتف: «الرحمة! ما الذي حدث لعيني؟ لماذا لم تعودا

إلي حتى الآن؟» وانتظر وقال: «ووووووووووووو» حتى تعب واستنتج أن عينيه قد ضاعتا وألقى رأسه على صدره، وهو يفكر بحزن بسوء الحظ الذي أصابه وبدأ ينوح: «كيف سأعثر على عيني الآن؟». رفع نفسه بحذر (فكما تتذكرون فقد كان يقف على حافة صخرة ضيقة)، وحاول أن ينظر حوله ولكنه لم ير شيئاً، ثم بدأ يتحسس الطريق بيديه واحدة إثر أخرى، كي يعثر على الطريق إلى الأسفل، ولكنه تعثر وسقط حتى كاد يموت. وعندما استعاد وعيه، استجمع نفسه وتحسس ما حوله ثانية، وببطء بدأ بالنزول حتى وصل إلى الوادي.

وبينما يتحسس طريقه مستخدماً أصابعه وصل إلى مكان رطب في الوادي، ليس بعيداً عن المكان الذي ينبع منه ينبوع شونتاكيا ويتدفق من المنحدرات في الأعلى. في أثناء اكتشاف طريقه حدث أن ضربت قائمته بتوت بري أصفر ناضج وناعم ولكنه بارد جداً. قال القيّوط: «يا لي من محظوظ! هذه واحدة من عينيّ». وهكذا التقطها ووضعها في أحد المحجرين الفارغين، ورفع رأسه نحو السماء وعبر الضوء من خلالها. فقال لنفسه: «ألم أقل لك أيها العجوز الأحمق؟ إنها إحدى عينيك رعتها أرواح أجدادك!» ثم تحسس المكان حوله ثانية

حتى عثر على واحدة أخرى وقال: «وهذا يثبت الأمر! ها هي الأخـرى!» ووضعها في المحجر الآخر. لم يبد عليه أنه يرى بشكل جيد كما في السابق، ولكن التوت البري قام بمهام العينين بشكل لا بأس به، إلا أن القيّوط العجوز التعس لم يعرف الفرق أبداً، فقط لاحظ زملاؤه في وادي السدر عندما عاد إليهم أن لديه عينين صفراوين بدلاً من العينين السوداوين اللتين مضى بهما، فالجميع يعلم أن الذئاب وجميع المخلوقات الأخرى كانت لديها أعين سوداء في البداية.

هذا ما حدث في قديم الزمان، وحتى يومنا هذا فإن الذئاب لها عيون صفراء، لا تقدر على رؤية الأشياء سريعاً.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كلاب المروج وكاهنها البوم البني

حدث مرة في قديم الزمان، أنه كانت هناك في أراضي كلاب المروج، قرية كبيرة لكلاب مروج. تقع أراضي هذه الكلاب في جنوب زوني، خلف جبل الشحم، وفي وسط تلك البلاد والتي تشكل أحد أصغر المروج ينتصب جبل هو أقرب إلى رابية صغيرة. في كل مكان حول قاعدة هذا الجبل كانت تنتشر الفتحات السماوية وفتحات الأبواب المؤدية لمنازل أجداد كلاب المروج. أما في أعلى قمة الجبل فقد شيّد البوم البني العجوز وزوجته منزلاً لهما.

في أحد أيام الصيف، أمطرت السماء وظلت تمطر بشدة، حتى إن حقول ميتاليكو الفسيحة (نبات الرجلة البرية) غدت دائمة النضرة، وأصبح لدى كلاب المروج مؤونة لا تنفد بفضلها، وهي طعامها الأثير، فازدادت بدانة وسعادة وهللت للعواصف المطرية التي توفر الحصاد لها. بيد أنها استمرت تمطر وتمطر حتى ابتلت قوائمها تماماً عند نزولها إلى حقول ميتاليكو وهذا لم يعجبها في ذلك الوقت كما لا يعجبها اليوم.

أنتم تعلمون أنه في بعض أنحاء أرض كلاب المروج هناك حفر صغيرة يتجمع فيها المطر عندما تمطر بشدة ولكن في هذه الأماكن تماماً تقع حقول ميتاليكو. واستمر المطر بالهطول حتى لم يعد يظهر فوق سطح الماء من النباتات إلا رؤوسها.

بدأت كلاب المروج تشتم المطر، وأخذت تفقد وزنها فلم تعد قادرة على الذهاب إلى الحقول وجمع الطعام، وبدأ مخزونها من الطعام يقل. أخيراً أصبحت جائعة جداً وهزيلة جداً وغير قادرة على الحركة، ذلك أنها ظلت تمطر يوماً بعد يوم من دون أن تجرؤ الكلاب على مغادرة جحورها، ثم انتهى مخزون الطعام الذي كان لديها.

تنادى شيوخ كلاب المروج، الأجداد منهم، إلى اجتماع كبير، خرج ثلاثة من أصل أربعة منهم من منازلهم ووقفوا على الأكمات أمام فتحات سقوف منازلهم، وصاحوا بقوة وبأصوات حادة، حتى إن النساء والأطفال في الجحور المجاورة تساءلوا: «يا إلهنا الطيب! إن الشيوخ يدعون لاجتماع». احتشد الجميع من أجل الاجتماع واجتمعوا حول قاعدة جبل البوم البني.

قال كبير المتحدثين أو المستشار: «كما ترون، فإن صنّاع المطر التعسين لا يزالون يسقطون الماء على حقولنا في ميتاليكو حتى فاضت. عليهم أن يعرفوا أننا ذوو أرجل قصيرة، وأننا لا نستطيع الذهاب إلى البحيرات لنجمع الطعام، وها نحن الآن نتضور جوعاً. إن نساءنا يمتن وأطفالنا يبكون وبالكاد نستطيع الذهاب من منزل لآخر. الآن، ماذا يجب أن نفعل؟ كيف نستطيع إيقاف المطر؟ هذا هو السؤال».

تناقشوا طويلاً، واقترحوا العديد من الخطط، والتي اعتبرت جميعها فاشلة وأغلبها قد تمت تجربته مسبقاً. وفي النهاية اقترح شيخ رمادي الخدين أن يرفعوا الأمر إلى جدهم، البوم البني، والذي يعيش على قمة الجبل.

هتف المجلس بصوت واحد: «أجل! أجل!» واختاروا الشيخ الذي اقترح ذلك ليكون رسولهم إلى البوم البني.

تسلق نحو قمة الجبل ولزمه العديد من الاستراحات على الطريق، ولكنه في النهاية وصل إلى المدخل وجلس بعيداً تهذيباً واحتراماً، ثم جثم على قائمتيه الخلفيتين ووضع يديه مقابل صدره وصرخ منادياً البوم البني.

لم يكن البوم البني الجد في مزاج جيد، لذلك فقد خطا نحو الخارج وعيناه تطرفان وسأله ما الأمر وقال: «ليس من عادتكم القدوم إلى منزلي وإثارة مثل هذه الضجة، فيكفي أني أسمع ضجيجكم من الأسفل هناك. لا يعقل أنك قدمت من أجل لا شيء، لهذا، ما هي رسالتك؟».

قال كلب المروج: «يا جدي، نحن في المجلس فكرنا كيف نوقف صانعي المطر هؤلاء، ولكن جميع جهودنا باءت بالفشل ولهذا فنحن مجبرون على أن نرفع الأمر إليك».

قال البوم الهرم وهو يحك طرف عينيه بمخلبه: «أحقاً هذا، اذهب إلى منزلك في الأسفل وسأرى ما يمكنني القيام به غداً صباحاً، فكما تعرفون جميعاً، أنا كاهن وسأمضي أربعة أيام في الصوم والتأمل والعمل المكرس، أرجو أن تنتظروا النتائج».

ودعه كلب المروج بتواضع وعاد إلى قريته في الأسفل.

في الصباح التالي قال البوم البني لزوجته: «جهزي كمية كبيرة من الحبوب، يا زوجتي العزيزة، واطبخيها جيداً، أريدها من الحبوب ذات الرائحة، من النوع ذي الرائحة غير الطيبة»، ثم تمنى لها صباحاً طيباً وغادر. غاب البوم لوقت طويل، وهو

يفتش في جذور الشجيرات. وأخيراً وجد واحداً من الخنافس سيئة الرائحة والذي كان رأسه عالقاً في وسط الجذور، فأمسك به وهو لا يبالي باحتجاجات المخلوق المسكين وأخذه معه إلى المنزل.

عندما وصل قال البوم للخنفساء: «يا صديقي، يبدو أنك تثير ضجة كبيرة حول هذا الأمر، ولكنني لا أرغب في إيذائك إلا بطريقة واحدة وهي تقديم كل الطعام الذي تستطيع أكله لك».

قال الخنفساء: «فلتباركني السماء!» وهز رأسه نحو الأسفل وهو يتراجع في الهواء ثم جلس مرتاحاً وراضياً.

قال البوم البني: «يا زوجتي العزيزة، ضعي طبقاً من الحبوب على الأرض»، وأطاعته الزوجة. ثم قال البوم للخنفساء: «يا صديقي، كل حتى تشبع».

انحنى الخنفساء قليلاً بعد ثم جلس في مواجهة وعاء الحبوب. أكل الخنفساء وابتلع وتجرع حتى أفرغ الطبق تماماً وتراءى أن حجمه بدأ يكبر.

سأله البوم: «ألم تكتف بعد؟ يا عزيزتي ضعي أمامه طبقاً آخر».

ووضعت طبقاً آخر من حساء الحبوب أمام الخنفساء والذي كما في السابق ازدرده حتى أتى على كل ما في الوعاء. في ذلك الوقت أصبح شكل الخنفساء يشبه خوخة منتفخة تماماً. ومع ذلك عندما سأله البوم العجوز: «أتستطيع أكل المزيد؟» أجاب: «نوعاً ما، القليل أيضاً وأعتقد أني سأكتفي».

قال البوم: «عزيزتي، المزيد بعد».

وضعت البومة العجوز وعاء آخر أمام الخنفساء فأكل وابتلع وتجرع وغمغم ولكن بالرغم من كل ما فعله من الوقوف وهز رأسه، إلا أنه لم يستطع إنهاء هذا الوعاء، وهكذاً أخيراً مسح العرق عن جبينه وهتف: « شكراً، شكراً. لقد اكتفيت».

قال البوم الهرم: «حقاً ذلك!» في تلك الأثناء كان كل من الخنفساء والبومة الهرم قد لاحظا أنه بينما كانت الوليمة قائمة، فإن البوم الهرم قد أخذ قطعة دائرية من جلد الغزال وبدأ يخيطها عند الحواف تاركاً زوجاً من الخيوط عند كل حافة، تشبه تلك التي نقوم بعمل عقدة بها. وفي اللحظة التي قدم فيها الخنفساء شكره، كان البوم الهرم قد أنهى ما يقوم به.

قال البوم وقد استدار نحو الخنفساء: «يا صديقي، لقد أكلت حتى اكتفيت، ويبدو لي من حركاتك أنك لا تشعر بالراحة، لأنك أضخم حجماً مما هو آمن بالنسبة لخنفساء. ربما لا تعلم أن من يأكل حساء الحبوب بحرية يحتمل أن يتضخم أكثر. سأنصحك شيئاً، عندما أضع هذه العقدة على الأرض بفتحتها التي تتجه نحوك، اركض وأدخل رأسك إليها وأخرج ما تستطيع من الرياح من بطنك، ولأسهّل عليك الأمر سأعصرك قليلاً».

لم يكن الخنفساء مسروراً جداً بالفكرة ولكنه لم يبد أي اعتراض.

أكمل البوم: «أترى، لقد ارتحت في الحال من العواقب الخطيرة لنهمك، وفي الوقت نفسه بدأت تسدد ثمن طعامك».

أجاب الخنفساء: «هذه فكرة رائعة»، وهكذا حشر نفسه في الحقيبة وعانق البوم الهرم الخنفساء وعصره بلطف وارتفع الضغط بمرور الوقت حتى اختفى جزء كبير من حجمه ولكن الحقيبة أخذت تنتفخ إلى أن امتلأت بالغازات حتى أنها بالكاد أغلقت.

كان المطر في الخارج لا يزال ينهمر.

قال البوم الهرم للخنفساء: «يا صديقي، إذا كنت لا تمانع السير في المطر وأنا أعتقد أنك لا تفعل، فباستطاعتك الآن العودة إلى منزلك. وشكراً جزيلاً على مساعدتك».

وفي المقابل عبر الخنفساء عن شكره للبوم الهرم وغادر.

وعندما حل صباح اليوم الرابع، كان المطر لا يزال مستمراً بل ازداد في الحقيقة، فأخذ البوم الحقيبة التي تحوي الغازات ووضعها أمام مدخل منزله.

فكما تعلمون أنه إذا اقترب أحد من الخنفساء وأزعجه فإن الخنفساء سيرتكز على يديه ورأسه ويصدر رائحة كريهة لا يستطيع أحد احتمالها. الويل لأنف ذلك الرجل الذي يصادف وجوده في الجوار! سيشعر بحرقة نتيجة لتلك الرائحة القوية حتى إنه لا يستطيع العطس على الرغم من رغبته الشديدة بفعل ذلك. وأنتم تعلمون أيضاً أنكم إذا لمستم خنفساء غاضبة، فلن يستطيع كل الماء النظيف في نهر زوني إزالة أثر هذه الرائحة من أصابعكم في كل مرة تشمون فيها رائحتها. وأنتم تعلمون أيضاً كيف تؤثر الحبوب ذات القشرة السميكة والمطهوة جيداً في الأشخاص، فتأملوا في قوة العقار الذي تحتويه تلك الحقيبة.

أخذ البوم عصاه وضرب الحقيبة، فبدأت الغيوم التي كانت كثيفة جداً تضيء من البرق وتهتز بالرعد الثائر، تصبح أرق وهي تستعد للرحيل، فاستطاع ضوء الشمس أن يتخللها. ضرب البوم الحقيبة مرة أخرى، وابتعدت الغيوم كأن تياراً عنيفاً يجرها. ثم ضرب البوم الحقيبة مرة ثالثة فأصبحت الغيوم تستريح على قمة جبل بعيد قبل أن يخفض عصاه. ثم ضرب الحقيبة الضربة الأخيرة حتى أفرغها تماماً، فغدت السماء صافية كأنه منتصف نهار يوم صيفي جاف. كم كانت تلك الرائحة قوية المفعول حتى إن آلهة المطر نفسها لم تستطع احتمالها وسحبت قواتها وتراجعت أمامها.

اندفعت كلاب المروج مغادرة جحورها وجثمت حول الجبل وصاحت فرحة بأعلى صوت شاكرة كاهنها العظيم وجدها البوم البني.

فانظروا إلى ما كان يحدث في قديم الزمان.

ولهذا السبب فإن كلاب المروج والبوم البني دائماً ما كانت تربطها صداقة حميمة. وإن قبيلة البوم البني تعتبر أنه ليس من مكان أفضل لها في العالم وأكثر ملاءمة للعيش ووضع البيض وتربية أطفالها من جحور كلاب المروج.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف تسابق السنجاب مع عدائي كياكيم

في غابر الزمان، أيام الأقدمين كان عداؤو «كياكيم» مشهورين في كل المدن حول وادي شياوينا بقوتهم وقدرتهم على التحمل، وخفة حركتهم. وخلال سباق «تيكوا» أو سباق ركل العصي، تغلبوا واحداً بعد الآخر على العدائين من شيوينا أو زوني، ومن ماتساكي أو مدينة الملح، ومن بيناوا أو مدينة الرياح وفي الحقيقة تغلبوا على جميع من تجرأ على تحديهم أو قبول تحديهم.

لم يستسلم أهل شيوينا وماتساكي بسهولة وركضوا ثانية وثانية، إلى أن هزموا وخسروا الأكوام الكبيرة من البضائع والأشياء الثمينة التي قاموا بالمراهنة عليها، وفي النهاية أصيبوا بالخيبة والحزن تماماً من خسارة كل شيء قد يعرضه أو يراهن عليه أي رجل.

لذلك دعا سكان المدينتين لاجتماع حيث التقى الشيوخ والعداؤون ليتناقشوا فيما يستطيعون فعله ليهزموا عدائي

كياكيم. وفكروا في جميع الرجال الحكماء وجميع الكائنات الحكيمة التي يعرفونها وذكروهم واحداً إثر الآخر، وفي النهاية استقروا على مجموعة عُرف عنها الدهاء والحكمة أو البراعة وكان السنجاب في صدارتها. وأرسلوا شاباً ليعثر على السنجاب الهرم، الذي يعيش إلى جانب التل قرب بداية مضمار السباق.

كان السنجاب جالساً في الشمس بعد أن أنهى لتوه حفر جحر طويل، عندما وصل الشاب واقترب منه، فناداه السنجاب الهرم: «أهلاً يا حفيدي لا تزعجني هذا الصباح فأنا مشغول بحفر سراديبي».

أصر الرجل الشاب على أهمية الرسالة التي يحملها من قومه. وهكذا توقف السنجاب عن العمل واستمع إليه بانتباه بينما قص الشاب عليه الصعوبات التي يمرون بها.

قال السنجاب: «عد يا حفيدي وأخبر قومك بأن يتحدوا عدائي كياكيم في ركض سباق ركل العصي بعداء من اختيارهم، عداء واحد، في اليوم الرابع من هذا اليوم، وأكثر من ذلك، أخبر قومك أني من سيركض السباق من أجلهم، بشرط أن يسمح لي عداؤو كياكيم بالقيام بذلك بطريقتي وعبر طريقي الذي يمر تحت الأرض كما تعلم».

شكر الشاب السنجاب الهرم، واستعد للمغادرة عندما ناداه صاحبه الهرم البدين ضخم الخدين وطلب إليه التريث قليلاً، ثم قال: «هل تمانع بإخبار قومك أيضاً أنهم سيقومون بالمراهنة على شيئين فقط من أجلي، صباغ أحمر واللقاح الأصفر المقدس. وهذا سيكون كما تعلم هو أجر جهودي إن ربحت، فأنا أفضل هذا النوع من الممتلكات على أي شيء آخر».

عاد الشاب وأخبر قومه بما قاله السنجاب وبناء على ذلك أرسل أهل شيوينا وماتساكي تحدياً لأهل كياكيم لإقامة سباق. وهذا نص التحدي: «سنراهن بكل ما لدينا في مقابل كل ما فزتم به سابقاً على أن عداءنا، السنجاب الذي يعيش في بداية مضمار سباقنا سيهزمكم في السباق، والذي نقترح أن يتم في اليوم الرابع اعتباراً من هذا اليوم. إن شرطنا الوحيد هو أن يسمح للسنجاب بالركض في طريقه الخاص تحت الأرض».

كان عداؤو كياكيم سعداء جداً بالعدو ضد أي شخص يقترحه هؤلاء الذين قاموا بهزيمتهم كثيراً في السابق، فلم يترددوا للحظة واحدة في الرد بأنهم سيسابقون السنجاب أو أي صديق آخر لأهل ماتساكي وشيوينا بشرط وهو أن على السنجاب إذا أراد أن يركض تحت الأرض أن يظهر على السطح أحياناً بحيث

يستطيعون معرفة مكانه. وهكذا تم ترتيب كل شيء، أُبلغ السنجاب بقبول التحدي وبالشرط الذي وضعه عداؤو كياكيم.

في تلك الليلة ذهب السنجاب إلى أخيه الأصغر، الذي يشبهه تماماً، ضخم الخدين، لونه رمادي وبني ومليء بالغبار من حفر سراديبه. قال السنجاب: «يا أخي الأصغر، في اليوم الرابع اعتباراً من هذا اليوم سأشارك في سباق. سأبدأ أنا في مضمار سباق سكان كياكيم هنا، والذي كما تعلم يقع قرب بيتي. وهناك سأحفر حفرتين، واحدة في بداية مضمار السباق، والأخرى بعد ذلك بقليل. وستقوم أنت هنا عند منزلك قرب الشجيرات التي تحتك ببعضها بحفر حفرة في النقطة التي يمر بها مضمار السباق قرب منزلك وعلى أحد جوانبه. إن الطريقة التي سأتميز بها كعداء ستكون ريشة حمراء مربوطة إلى رأسي. وعليك أنت أيضاً أن تحصل على ريشة حمراء وتربطها على رأسك. وعندما تسمع هدير أصوات العدائين اركض وأظهر نفسك للحظة وأسرع بالدخول إلى الحفرة الأخرى بأسرع ما تستطيع».

أجاب الأخ الأصغر: «لقد فهمت ما الذي تريده مني، وأنا سعيد تماماً بالقيام به. سيسرني جداً أن نحطم غرور أولئك العدائين المتكبرين من كياكيم، أو على الأقل أن أساعد على القيام بذلك».

ذهب السنجاب الهرم إلى موضع الصدفة الحمراء، حيث يعيش أخ آخر من إخوته الأصغر منه والذي يشبهه ويشبه الأخ الذي قد تحدث إليه مسبقاً، والذي بقرب منزله يمر مضمار السباق أيضاً، وأوصل إليه المعلومات نفسها وأعطاه التعليمات نفسها. ثم ذهب أبعد من ذلك إلى مكان يسمى كوباكيان، حيث يعيش أخ آخر أصغر منه، والذي يقع منزله تحت قاعدة العمودين الرئيسين لجبل الرعد، عند نقطة الانعطاف في مضمار السباق، ثم إلى أخ آخر يعيش في مكان يدعى الساق المحروقة وأخيراً إلى أخ آخر يشبهه تماماً في الدهاء والحنكة، ويعيش تحت كياكيم في المكان الذي يصل فيه السباق نحو نهايته. وبعد الاتفاق على كل هذه الترتيبات، عاد السنجاب الهرم واستقر براحة في وكره.

في الصباح الباكر لليوم الرابع كانت تحضيرات السباق قد اكتملت وكان عداؤو كياكيم يصومون ويتدربون في البيوت المكرسة، وقد حضروا إلى السباق عراة وموثقين ببعضهم وهم يحملون عصيهم. ثم أتى أهل ماتساكي وشيوينا، وتجمعوا في السهل وانتظروا هناك. ولكن لم يطل انتظارهم فقد ظهر السنجاب الهرم في وسطهم وقد قفز من الأرض وعلى رأسه ريشة صغيرة حمراء، ووضع العصا التي أعدت من أجله على

الأرض حتى يستطيع التقاطها بأسنانه بسهولة وقال: «بالطبع ستعذرونني إذا لم أقم بضرب العصا بقدمي فهما قصيرتان ولا أستطيع القيام بذلك ولكن من جهة أخرى ليس عليكم أن تحفروا طريقكم كما أفعل أنا، فلذلك نحن متعادلون». قال هذه الجملة الأخيرة وهو ينظر إلى العدائين.

كان عداؤو كياكيم يضحكون باستهزاء وسألوه لماذا لم يطلب امتيازات ما بدلاً من الحديث حول أشياء لا تعني لهم شيئاً.

في النهاية منح إذن الانطلاق، وبصراخ وعجلة انطلق عداؤو كياكيم وهم يركلون عصيهم أمامهم، في حين التقط السنجاب العجوز عصاه بين أسنانه ودخل تحت الأرض. وخوفاً من أن يقهر عدّاؤهم أسرع أهل شيوينا وماتساكي إلى تل مجاور لينتظروا ظهوره في أي مكان من مضمار السباق فوق الأرض بأنفاس متقطعة. وبعيداً فوق السهل أحاطت غيمة من الغبار بعدائي كياكيم، الذين كانوا قد أصبحوا بعيدين جداً، عندما ظهر فجأة السنجاب العجوز على مسافة لا بأس بها أمامهم خارجاً من الأرض في وسط مضمار السباق، أمام أعين جميع الناظرين بريشته الحمراء المغبرّة والتي تلوح بفخر على جبينه وبعد أن نظر للعدائين حوله عاد إلى تحت الأرض مرة ثانية. صرخ أهل شيوينا

وماتساكي معبرين عن استحسانهم، وضاعف عداوُو كياكيم من جهودهم بعد ذهولهم من كون السنجاب قد سبقهم. وعندما اقتربوا من مكان الصدفة الحمراء شاهدوا - ولعجبهم - السنجاب يخرج ثانية وبعض الطين يحيط بعينيه وأنفه. لكن ما رآه المشاهدون هو الأخ الأصغر للسنجاب، وتراءت لهم الريشة الحمراء معفرة بالتراب وهي لا تزال ترفرف فوق جبينه.

أسرع العداوُون أكثر وما إن اقتربوا من كوباكيان حتى رأوا السنجاب ثانية أمامهم، كان يتراءى لهم مغطى بالعرق، فهذا الأخ الماكر قد زوّد نفسه ببعض الماء الذي فرك به فراءه وجعله طينياً، ليظهر كأنه تعرق بشدة وأمسى في غاية الإنهاك والتعب. ثم خرج من حفرته ودخل إلى الأخرى بسرعة أقل مما فعل الآخرون، فقام العداوُون خلفه والذين لم يكونوا بعيدين بإطلاق صرخة عظيمة واندفعوا إلى الأمام. وعندما ظنوا أنهم قد تغلبوا عليه، ظهر في منتصف طريقهم متسخاً تماماً بالطين، ما بدا لهم أنه السنجاب نفسه وهو يتحرك ببعض الصعوبة، ثم اختفى تحت الأرض ثانية وهكذا دواليك، استمر العداوُون برؤية السنجاب على فترات، وفي كل مرة يظهر حاله أسوأ من ذي قبل، حتى اقتربوا من المنعطف الأخير، وما إن وصلوا إليه حتى برز أكثر

السناجب تعباً واتساخاً في وسطهم. وبرؤيتهم للريشة الحمراء على رأسه وهي تبدو قائمة من الطين ومسطحة تماماً، فظنوا أنه هو السنجاب الهرم نفسه.

وأخيراً، استيقظ السنجاب الأصلي، والذي كان نائماً في تلك الأثناء، وبلل نفسه من قمة أنفه حتى ذيله القصير، وتمرغ في التراب حتى تغطى بالطين، وأغمض عينيه نصف إغماضة وزحف أمام الجمهور المشدوه عند خط النهاية بشكله الذي يدعو للأسف، وقد سبق العدائين بكثير، والذين كانوا يقتربون بسرعة. أطلق الحاضرون صرخة عظيمة وخسر عداؤو كياكيم للمرة الأولى كل ما فازوا به من قبل، وسلبت منهم سرعتهم أو على الأقل ثقتهم بنفسهم، كما تخسر الرياح سرعتها فيما لو كسرت قدماها.

هذا ما حدث في أيام القدماء، فباستخدام مهارة السنجاب ودهائه، الذي يقوم بحفر جحور وأفخاخ في الأرض، والذي ينافس جميع العدائين، الكبار منهم والصغار، رُبح السباق ضد أسرع العدائين الشبان من أجدادنا. ولهذا، فإنه حتى يومنا هذا فإن العدائين الشباب من زوني عندما يمضون للمشاركة في سباق يأخذون معهم اللقاح الأصفر المكرس والصباغ الأحمر،

ويصنعون ريشات حمراء صغيرة من أجل السناجب على طول مضمار السباق ويخاطبونها في صلواتهم ويقولون: «يا سنجاب السهول والطرقات، ها نحن قادمون للسباق! نحن نقدم إليك هذه الأشياء، التي تعتبرها أنت وقومك أثمن ما تملكون، ونرجو أن نحصل على عونك، وأن تتسبب بسقوط منافسينا في بعض الحفر والشقوق التي تصنعها، وأن تختفي عصيهم في الظلام والتراب».

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف أصبحت الأفاعي المجلجلة ما هي عليه الآن

تعلمون أنه في غابر الزمان عاشت في ياثلبينون، العديد من الأفاعي المجلجلة ، والتي لا تزال تعيش هناك حتى يومنا هذا، وفي ذلك الوقت كانوا رجالاً ونساءً لكن من صنف الأفاعي المجلجلة .

في أحد الأيام رغب الأطفال الصغار في تلك المنازل بالخروج للعب والتزحلق على الضفاف الرملية جنوب البركة المرة على الضفة الأخرى من نهرنا. وهكذا تصايحوا أمام أهلهم: «دعونا نذهب، أمنا، جدتنا، وأبانا، اسمحوا لنا بالذهاب وسنأخذ اختنا الصغيرة للعب في الجانب المشمس من الضفاف الرملية».

قالت الأم: «يا أطفالي، اذهبوا، اذهبوا إن أردتم ولكن انتبهوا جيداً لأختكم الصغرى، فهي صغيرة جداً، احملوها برفق على أكتافكم، وضعوها في مكان تكون فيه بأمان، فهي لا تزال صغيرة جداً وعاجزة».

أجاب الأطفال وهم يتلفتون نحو أختهم الصغرى: «حاضر يا أماه! نحن نحب أختنا الصغرى، أليس كذلك أيتها الصغيرة؟»، ثم وضعوها في أرديتهم وحملوها على أكتافهم وخرجوا بها إلى الجانب المشمس من الضفاف الرملية، وهناك بدأوا باللعب والتزحلق واحداً في إثر الآخر.

كانت الفتاة الصغيرة سعيدة للغاية بألعابهم، وزحفت من المكان الذي وضعوها فيه في اللحظة نفسها التي بدأت فيها إحدى الفتيات تتزحلق بسرعة على طول التل الرملي. ركضت المخلوقة الصغيرة وهي تصفق بيديها وتضحك محاولة الإمساك بشقيقتها، وعبثاً حاولت الأخت الكبرى أن تتوقف، ونادت على شقيقتها الصغرى بأن تحترس، ولكنها كانت صغيرة جداً فلم تفهم معنى تحذير أختها، وأسفاه، انزلقت الأخت الكبرى فوقها وصدمتها فتدحرجت في الرمل حتى سحقت وماتت، وهي ملتفة بشكل صغير جداً.

اجتمع الأطفال جميعاً حول أختهم الصغرى وبكوا كثيراً. وأخيراً حملوها برقة ووضعوها على أكتافهم وغنوا وهم يمضون ببطء نحو المنزل.

«يا أيتها الأفعى المجلجلة الصغيرة

يا أيتها الأفعى المجلجلة الصغيرة

يا أيتها الأفعى المجلجلة الصغيرة

وأسفاه نحن نحملها

وأسفاه نحن نحملها».

وبينما يقتربون من قرية الأفاعي المجلجلة ، نظرت والدة الصغيرة ورأتهم قادمين وسمعت أغنيتهم.

وهتفت: «يا أطفالي! يا أطفالي! أيها الصغار الحمقى، ألم أطلب منكم أن تكونوا حذرين وتنتبهوا، يا أطفالي؟» وبدأت تمشي نفسها جيئة وذهاباً وتتمايل من جانب لآخر في الوقت نفسه وترفع يديها في الهواء وتنوح بحرقة ثم أغمي عليها وسقطت على الأرض وهي لا تزال ترتجف.

ولما رأتهم الجدة العجوز قادمين، بدأت هي أيضاً بالنواح.

وهكذا بدأوا بالبكاء واحداً إثر الآخر في القرية عند رؤيتهم الطفلة الصغيرة التي كانت الأثيرة لديهم، وهي تحمل إلى المنزل مشوهة وميتة.

ثم أغمي عليهم جميعاً، بما فيهم الأطفال الذين أحضروا الصغيرة إلى المنزل، فقد شاركوا في النواح إلى أن أغمي عليهم أيضاً. ثم عندما عادوا جميعاً إلى رشدهم لم يتمكنوا من النهوض ثانية، بل شرعوا في التلوي على الأرض، وهم يبكون بضعف كما تتلوى الأفاعي المجلجلة وتبكي حتى يومنا هذا.

وهكذا ترون أن الأفاعي المجلجلة كما هي حال العديد من الحيوانات كانت بشراً فيما مضى وبشراً رائعين أيضاً. ولهذا لا نقتلها إلا للضرورة القصوى ولا نزهق أرواحها أو أرواح الحيوانات الأخرى من دون مبرر.

كيف تم الإيقاع بلصوص الذرة

في أيام الأقدمين، وفي الزمن الموغل في القدم، عاشت في مدينتنا والتي كانت تدعى آنذاك بيت النمل الأوسط في العالم، حسناء فخورة، جميلة جداً وفاتنة جداً، وكانت ابنة أحد أغنى رجال بين قومنا. كانت لديها ممتلكات كثيرة تتمنى فتيات زوني الحصول عليها، عباءات وأغطية، ثياباً مطرزة وأوشحة، جلود غزلان وأحذية، أقراطاً فيروزية وقلائد من الصدف، والكثير من الأساور حتى إنك لا تستطيع عدها. وكان لها والداها وإخوتها وأخواتها، الذين أحبتهم كثيراً. فلماذا إذن عليها الاكتراث لأمر أي شيء آخر؟

كان هناك شيء واحد يقلقها، يتعلق بتلك الممتلكات الكثيرة، فقد كانت تمتلك حقولاً شاسعة من الذرة، ممتدة جداً لدرجة أن هؤلاء القائمين على زراعتها لم يكونوا قادرين على العناية بها جيداً، فما إن تمتلئ سنابل الذرة بالحلاوة ويستوي نضجها، حتى تقتحم جميع أنواع الحيوانات هذه الحقول وتجذب سنابل

الذرة نحو الأسفل وتأكل قماقمها الحلوة. والآن كيف عليها أن تتخلص من هذه المشكلة، هذا ما لم تكن الفتاة المسكينة تعرف له جواباً.

أجل، فبعد أن فكرتُ قليلاً بالأمر، تذكرتُ أن هناك شيئاً آخر كان يزعجها كثيراً، بقدر ما أزعجها سارقو الذرة، لكنهم لصوص من نوع آخر، إذ لم يكن هناك شاب واحد غير متزوج في وادي أجدادنا إلا ويسعى بجنون خلف محاسن هذه الفتاة. وإلى جانب ذلك كله، كان طمع الكثيرين في ثروة الحسناء واعتقادهم أن منزلها سيكون مريحاً جداً لسكناهم، دافعاً لهم كي يحوموا حول منزلها باستمرار ويأتوا لزيارة والدها كثيراً، ولهذا لم يمنحوا الفتاة المسكينة أي فرصة للراحة، حتى قررت في النهاية أن تضع حداً للأمرين معاً، وبذلك تستطيع أن تتخلص من أحدهما إن لم يكن كليهما. وعندما تحوّل إزعاج هؤلاء الشبان إلى حد لا يطاق، قالت لهم: «انظروا! إذا استطاع أي واحد منكم الذهاب إلى حقول الذرة خاصتي، وتمكن من أن يتخلص أو يطرد بعيداً سارقي الذرة الذين يلتهمونها، فسيكون هو من أتزوجه وأقدره، وسأحترم قدراته وحنكته».

حاول الشباب وحاولوا كثيراً، ولكن دون جدوى. وقبل مضي وقت طويل عرف الجميع بأمر هذا الطلب الوحيد.

كان هناك شاب يعيش في إحدى المدن الخارجية، عده قومنا آنذاك الأفقر بين الفقراء، وليس هذا فحسب بل كان أيضاً قبيحاً جداً، فما استطاعت امرأة النظر إليه من دون أن ينتابها الضحك.

الآن، هناك نوعان من الضحك الذي تقوم به النساء. أحدهما حسن جداً ويدفع الشبان للشعور بالسعادة والغرور. والنوع الآخر أقوى ولكنه يجعل الشبان يشعرون بالكآبة والضعف. وليس هناك من داعٍ للسؤال عن أي نوع من الضحك كانت النساء تقوم به عند رؤيتها لهذا الشاب القبيح، الرّثّ الثياب بمظهره البائس. ورغم ذلك كانت له عينان براقتان مما يعني في كثير من الأحيان أكثر مما يبدو ظاهراً.

تناهى إلى أسماع الشاب ما يجري حوله. ولم تكن لديه هدية ليقدمها لفتاة، إلا الإعجاب الكبير بشخصها، فيا لها من صفقة جيدة لو أنه كان وسيماً بل أكثر وسامة بين شبان زمانه. وهكذا اتخذ طريقه نحو منزل الفتاة في إحدى الأمسيات، حيث استقبل بأدب، ولاحظ كبار القوم أن الفتاة بدت كأنها تستلطفه، كما نلاحظ جميعنا اليوم أننا لا نثمن عالياً قيمة ما نمتلكه بل نمنح قيمة

أعلى لما ليس لدينا. وضعت الفتاة طبقاً من الخبز أمام الشاب وطلبت إليه أن يأكل، وبعد أن انتهى، نظر حوله بعينيه البراقتين الصغيرتين وقال الشيخ له: «فلندخن معاً»، وهكذا فعلا.

بعد قليل سأله الشيخ عما دفعه للقدوم إلى منزل رجل غريب، وأجابه الشاب، بأنه لديه أفكاراً وهو يشعر بالخجل للحديث عنها ولكنه يتمنى أن يقبله كخاطب لابنته.

أحال الأب الأمر للفتاة، التي قالت إنها ستكون راضية تماماً، ثم اصطحبت الشاب جانباً وتحدثت ببضع كلمات معه، وفي الحقيقة أخبرته بشروطها حتى تقبل به زوجاً. ابتسم وقال إنه سيبذل ما في وسعه وإمكانياته، ولكن ما تطلبه صعب جداً.

قالت الفتاة: «أعرف ذلك، لهذا أنا أشترطه».

غادر الشاب المنزل فوراً. وفي الصباح التالي، توجه بهدوء شديد إلى حقول الذرة الخاصة بالفتاة، وعبر الأجمة الشمالية، حيث تقع حقول تلك الفتاة المحظوظة! فحفر حفرة عميقة باستخدام عصا حادة ومجرفة من العظام. وجعلها ناعمة جداً من الأطراف ثم ذهب إلى الجبل وعاد ببعض العصي الطويلة، التي وضعها فوق الحفرة وفرش التراب فوقها، وأعاد وضع

سنابل الذرة كما لو أنه لا توجد حفرة هناك، ثم وضع الكثير من السم القوي في مركز العصي، التي كانت هشة إلى درجة أنه لا يستطيع أحد العبور فوقها من دون أن تنكسر مهما كان رشيقاً.

حل الليل، وأصبح باستطاعتكم سماع أصوات الذئاب وهي تشرع في الغناء، وبدأ كامل جيش اللصوص، من الدببة، الغرير، السناجب، وجميع أنواع المخلوقات، بالتوافد ببطء، كل من طريقه الخاص، عبر الجبل. وصلت الذئاب أولاً إلى الحقل، كونها الأسرع، وكان أحدها يتطفل في المكان وهو يبحث عن الحراس، وانتبه إلى الفتات اللذيذ الموضوع فوق الحفرة.

قال القيّوط (الذئاب لا تفكر كثيراً فيما تزمع القيام به): «حسناً إذن» وقفز مباشرة نحو الفتات وتدحرج مع العصي والتراب والطعم نحو أسفل الحفرة. ثم استجمع شتات نفسه وأخرج الرمل من عينيه وبدأ بالقفز وهو يحاول الخروج، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح، فأطلق صرخة حزينة.

وما إن توقف لكي يلتقط أنفاسه حتى أتى دب وقال له: «بحق الشياطين والعرافين لماذا تعوي هكذا؟ أين أنت؟».

توقف القيّوط عن الأنين مباشرة واتخذ وضعية اللامبالي وهتف: «يا كبير القدمين، أيها الصديق المحظوظ، المحظوظ جداً! هل سمعت غنائي؟ أنا أسعد مخلوق على وجه الأرض أو بالأصح تحت الأرض؟».

قال الدب: «لماذا أنت سعيد؟ أنا لم أعتقد أنك كنت سعيداً نظراً لعوائك؟».

هتف القيّوط: «لماذا؟ فلتحل علي الرحمة! كنت أغني اغتباطاً».

سأل الدب: «وكيف ذلك؟».

قال القيّوط: «لقد أتيت إلى هنا هذا المساء، وبالصدفة المحضة وقعت في هذه الحفرة. وماذا تعتقد أني وجدت هنا؟ ذرة خضراء، لحماً، طعاماً حلواً وكل ما يتمناه آكلو الذرة من طعام. وكل ما افتقدته حتى تكتمل سعادتي هو شخص يشاركني الاستمتاع بالطعام. اقفز! هيا! إنها ليست عميقة جداً، وأقبل إلي يا صديقي وسنقضي ليلة مرحة هنا».

نظر الدب الهرم إلى الأسفل وتراجع نحو الخلف قليلاً، وتردد لبعض الوقت ثم قفز إلى الحفرة. وعندما وصل إلى هناك،

استلقى القيّوط على ظهره وصفق بقدميه ضاحكاً. ضحك كثيراً وقال للدب: «اخرج الآن إن استطعت، أنا وأنت الآن في ورطة كبيرة، لقد سقطت هنا بالصدفة، هذا صحيح، ولكني قد أعطي أسناني وعينيّ لأخرج من هنا!».

أوشك الدب على التهامه، ولكن القيّوط همس شيئاً في أذنه. فصرخ الدب: «رائع، فكرة ممتازة هيا فلنغن هنا معاً! وليأتوا إلينا!».

وهكذا ضحكا وغنيا واحتفلا حتى جذبا تقريباً كل لصوص الذرة في الحقول إلى مكانهما، ليشاهدوا ما الذي يقومان بفعله. وهتف القيّوط: «ابتعدوا يا أصدقائي لستم محظوظين، نحن وصلنا إلى هنا أولاً وهذه غنيمتنا!»

هتفوا واحداً تلو الآخر: «ألا أستطيع النزول؟ ألا أستطيع النزول؟».

هتف الدب: «حسناً، أجل. لا. ليس هناك ما يكفي للجميع، ومع ذلك انزلوا» وأسرعوا بالنزول إلى الحفرة حتى كادت أن تغص بهم وهم يتدافعون ليسبقوا بعضهم، وقبل أن يعرفوا حقيقة الورطة التي وقعوا فيها، كانوا جميعاً في الداخل.

ضحك القيّوط وتشقلب في مكانه وهو يصرخ بأعلى صوته وتسلق ظهر جده الدب الهرم وتزاحم مع الآخرين، الذين كانوا يزمجرون ويعضون بعضهم بعضاً، وقفز فوق ظهورهم خارجاً من الحفرة وركض بعيداً وهو يضحك بأقصى ما يستطيع.

في الصباح التالي جاء الشاب إلى حقل الذرة، وعندما اقترب من الحفرة سمع ضجيجاً عظيماً، وعندما وصل إلى الحافة ونظر إلى الداخل رأى أنها نصف ممتلئة باللصوص الذين واظبوا على تخريب محصول الذرة الخاص بالفتاة، جميع أنواع المخلوقات التي كانت تتطفل على حقول الذرة التي يزرعها الإنسان، كانوا جميعاً هناك في تلك الحفرة العميقة، بعضهم متعب جداً وينتظر إنهاء حياته، والآخرون كانوا لا يزالون يقفزون ويزحفون ويفشلون في جهودهم للخروج من الحفرة.

هتف الشاب: «جيد! جيد يا أصدقائي، لا بد أنكم تشعرون بالبرد، سأدفئكم قليلاً». وهكذا ذهب الشاب وجمع الكثير من الخشب الجاف وألقاه في الحفرة. وقال لهم: «كونوا صبورين! كونوا صبورين! أرجو ألا أقوم بإيذاء أي منكم. سينتهي كل شيء

في دقائق قليلة!». ثم أشعل الخشب وأحرق جميع من كانوا في الحفرة. ولكنه لاحظ أن القيّوط لم يكن هناك. فقال الشاب: «ما هي المشكلة؟ يستطيع الإنسان أن يحارب نوعاً واحداً من اللصوص ولكن ليس الكثير منهم».

وهكذا عاد إلى منزل الفتاة وأخبرها بما فعله، وكانت مسرورة للغاية حتى إنها لم تعرف كيف تعبر له عن شكرها ولكنها قالت له بابتسامة على وجهها وبريق في عينيها: «هل أنت متأكد تماماً من أنهم جميعاً كانوا هناك؟».

قال الشاب: «أجل لقد كانوا جميعاً هناك ما عدا القيّوط، ولكن علي أن أقول لك الحقيقة، فهو إما قد تمكن من الخروج من الحفرة أو لم يدخل إليها بالأصل».

قالت الفتاة: «ومن يهتم لأمر القيوّط. أنا أفضل أن أتزوج رجلاً يتمتع ببعض الإبداع على أن تقتل جميع ذئاب العالم». وبهذا قبلت الفتاة الزواج من الشاب القبيح جداً ولكن المبدع. وإننا نلاحظ انه منذ ذلك الحين فإن الفتيات الجميلات لا يلقين اهتماماً كبيراً لشكل أزواجهن، كونهن يتمتعن بالجمال الكافي لكليهما. ولكنهن يرغبن في أن يكون رجالهن قادرين على

التفكير والتصرف وإيجاد الحلول أحياناً. والأكثر من ذلك، لماذا ستهتم فتاة غنية لأمر شاب غني؟ فمنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا وكما تعملون تختار الفتيات الثريات شباناً فقراء ليكونوا أزواجاً لهن ويقع الشبان الأثرياء في حب الفتيات الفقيرات.

هذا ما كان في قديم الزمان. وقد هرب القيّوط من الفخ الذي نصبه الشاب القبيح. وهذا هو السبب الذي يجعل الذئاب أكثر وفرة من باقي الكائنات التي تسرق الذرة في أراضي زوني، ومهما فعلت، فكن متأكداً أنها ستحصل على بعض الذرة التي تزرعها على أي حال.

وهكذا تنتهي حكايتي.

الأرنب الذكر والأرنبة البنية

في قديم الزمان عاش أرنب ذكر في سهل الميرمية، وعاشت الأرنبة البنية في جرف عالٍ قريب.

شاهدا الغيوم وهي تتجمع، فذهبا للغناء معاً. وغنى الأرنب الذكر طويل الساقين أغنية للثلج.

ولكن الأرنبة البنية قصيرة القدمين غنت للمطر.

وهكذا غنيا، أحدهما يناشد الثلج في غنائه، والأخرى تستنزل المطر، ولهذا وحتى يومنا هذا يركض البوكيا[1] عندما تثلج، في حين أن اكشيكو[2] تركض عندما تمطر.

وهكذا تنتهي حكايتي.

(1) الأرنب الذكر.
(2) الأرنبة البنية.

مغامرات صائدة الأرانب

في الزمن البعيد، في عهد الأقدمين، عاشت عذراء فقيرة في «كياوانا تيهو-تسانا» («معبر نهر زوني الصغير)، حيث بنيت على قمم الجروف البركانية -كما تعلمون- منازل ذات جدران صخرية سوداء، فوق الموضع الضيق الذي يجري عبره النهر إلى يومنا هذا.

في أحد تلك المنازل عاشت العذراء الفقيرة وحيدة مع أبيها المتهالك وأمها المسنة. أعرضت الفتاة عن الزواج إثر مصرع بعض إخوتها في الحرب وموت الباقين بهدوء؛ وافتقار المنزل إلى الرجال، ومعاناة العائلة البؤس والفاقة.

كانت العذراء الفقيرة تجيد أعمال البستنة مثل زراعة الفاصولياء، القرع، اليقطين، البطيخ، والـذرة، فأعالت العائلة بإنتاج هذه المواد بشكل أساسي. فآنذاك لم تكن توجد خراف أو ماشية، وكان مصدر اللحم هو الصيد؛ أو مقايضة المحاصيل الزراعية بطرائد الذين امتهنوا غالباً ممارسة الصيد.

ولأن المحاصيل كانت بالكاد تكفي لسد رمق هذه العائلة وضمان بقائها، فهي لم تستطع أن تشتري بها اللحم.

في الماضي، كان هذا البيت عامراً، إذ سكنه العديد من الشبان الأقوياء والشجعان؛ لكن غرفه باتت خاوية، إلا من بعض الأشياء المستعملة والملابس البالية-على أبعد تقدير- التي خلفها وراءهم قاطنو المنزل قبل تواريهم.

تساقط الثلج في يوم من أواخر الخريف، وأصبح الجو بارداً جداً. كانت العذراء قد جمعت الكثير من الأغصان وأعواد الحطب وكوّمتها على طول سطح المنزل إلى أسفل السلم الذي يتدلى من الأعلى. وحين شاهدت في صباح اليوم التالي العديد من الشبان المنطلقين إلى الخارج، بجواربهم الطويلة المصنوعة من جلد الغزال التي تحمي أقدامهم، والمبطنة بالفرو، حاملين فؤوسهم الحجرية على أكتافهم وحراب صيد الأرانب مثبتة على أحزمتهم، حدّثت نفسها وهي تحدّق إليهم من السطح قائلة: «لو كنت رجلاً لاستطعت أن أنطلق وأفعل ما يقوم به هؤلاء الشبان، صيد الأرانب! وبهذا أؤمن حاجة والديّ الفقيرين المسنّين من اللحم الذي سيطيب طعامهم ويغذي أجسامهم الضعيفة». وهكذا تلاحقت أفكارها. وقبل حلول الليل، وبينما تراقب دخول الشبان، الواحد

تلو الآخر، بعضهم يحمل أطواقاً طويلة من الحبال التي تحوي الأرانب، وآخرون يحملون حبالاً قصيرة، من دون أن تجد أحداً منهم خاوي اليدين، قررت أن تنطلق بنفسها في الصباح– ولو كانت امرأة– لتجرب حظها في صيد الأرانب.

ربما بدا لنا مستغرباً أن تكون هذه العذراء جميلة وشابة ولا يقدم لها هؤلاء الشبان شيئاً من أرانبهم. لا بل وكنّوا لها مشاعر البغض والعداء، إذ لم تقبل بأي منهم زوجاً لها، على الرغم من تقدمهم لطلب يدها الواحد تلو الآخر.

في ذلك المساء، جلست الفتاة أمام الموقد واستدارت باتجاه والديها المسنين قائلة بعزم كبير: «أمي وأبي، رأيت أن الثلج قد تساقط، وأصبح من السهل تعقب آثار الأرانب، فالشبان الذين غادروا في الصباح عادوا قبل المساء محملين بحبال من الطرائد الوفيرة. انظرا، هناك حراب لصيد الأرانب في الغرف الأخرى من منزلنا، وهناك فؤوس حجرية معلقة على الجدران، ربما أمكنني باستخدامها أن أهاجم الأرنب مقتفية أثره... وعندما يهرب إلى داخل جذع شجرة، يمكنني شطر الجذع واستخراجه منه. لهذا فكرت طوال النهار وقررت أن أذهب يوم غد لأجرب حظي في الصيد، حتى ولو كنت امرأة!».

«نايا، يا ابنتي»، نادت الأم الضعيفة مرتعشة «سوف تشعرين

بالبرد الشديد دون شك، أو تضيعين طريقك، بل ربما تمنعك شدة التعب من العودة قبل حلول الظلام، بالإضافة إلى أنك يجب أن لا تخرجي لصيد الأرانب، فأنت امرأة».

«آه، بالطبع لا»، أصر الشيخ، وهو يفرك ركبتيه الضعيفتين و يهز رأسه مفكراً بالأيام الغابرة، «لا، لا. أفضل أن نعيش فقراء على أن تقومي بمجازفات كهذه يا ابنتي».

ولكن لم يكن لحديثهما أي فائدة، فقد عقدت الفتاة العزم. لذلك قال الشيخ في النهاية: «حسناً! لن يتمكن أحد من منعك. لذلك، سوف أساعدك يا ابنتي بقدر استطاعتي». ثم ذهب يعرج إلى الغرفة المجاورة ووجد قطعة قديمة من جلد الغزال مغطاة بفرو كثيف؛ سحبها ورطبها حتى أصبحت طرية وقصها ليصنع منها حذاء لابنته، ثم خاطها باستخدام وتر وألياف مستخرجة من ورق نبات زنبقي يدعى «ياكا». ثم انتقى الشيخ لابنته عدداً من حراب صيد الأرانب وفأساً حجرية جيدة وثقيلة من بين أشياء كانت لإخوته وأولاده الذين قتلوا أو هلكوا. في غضون ذلك، انشغلت الأم العجوز في تحضير طعام لابنتها، مكون من بضع كعكات صغيرة مصنوعة من دقيق الذرة والمتبلة بالفلفل والبصل البري. وكانت هذه الكعكات مثقوبة من الوسط ومخبوزة في فرن

من الرماد. ثم صنعت العجوز طوقاً طويلاً من هذه الكعكات واضعة إياها كالخرز في حبل من ألياف نبات «ياكا»، وقامت بإلقائها على مقعد صغير بالقرب من السلم، مع حراب الصيد والفأس الحجرية والحذاء المصنوعة من جلد الغزال.

أمضت العذراء تلك الليلة في التخطيط، وفي الصباح الباكر، وقبل أن يغادر الشبان البلدة، ارتدت ثوباً دافئاً ذا تنورة قصيرة، وربطت عباءة حول كتفيها، وألقت واحدة أخرى أكبر حجماً على ظهرها، ثم لبست الجوارب المصنوعة من جلد الغزال، وألقت حبل الكعك حول كتفها، وثبتت حراب الصيد في حزامها، وانطلقت حاملة فأسها الحجرية باتجاه الشرق عبر مدخل «زوني» إلى السهل الذي يسبق الوادي والذي يدعى سهل «النهر المحروق»، وقد دعي كذلك بسبب مظهر الصخور السوداء على أجزاء من جانبيه والتي تبدو محروقة. امتد الثلج الناصع البياض أمامها، - قليل العمق، إنما غير متكسر -- وعندما وصلت إلى المنحدرات التي تحوي العديد من الوديان الضيقة الصغيرة على طول الجانب الشمالي من الوادي، رأت كثيراً من آثار الأرانب التي كانت تتراكض بين الصخور والشجيرات.

شعرت الفتاة بالدفء والمتعة مما تقوم به، فلم تنتبه إلى العاصفة

الثلجية الآتية، بل ظلت تركض من مكان إلى آخر، مقتفية آثار الأرانب، أحياناً إلى الأعلى داخل الوديان، حيث انتصبت غابات الصنوبر والسدر، وهناك حالفها الحظ مرة، فتمكنت من محاصرة أرنبين أو ثلاثة أو أربعة في جوف جذع شجرة واحد. كان سهلاً شطر تلك الجذوع الصغيرة، ثم إخراج الأرانب وقتلها بضربة يد على قفا العنق ومؤخرة الأذنين. كانت كلما قتلت أرنباً رفعته إلى أنفها باحترام لتتنشق رائحة أنفاسه المتلاشية من منخريه، ثم تربط رجليه وتعلقه في الطوق الذي بات يثقل كاهلها. ورغم ذلك لم تلحظ الفتاة أن العاصفة غدت وشيكة وأن الظلام بدأ يحل رويداً رويداً، إذ أصرت على متابعة الصيد، وهي سعيدة جداً بإمساك هذا العدد الكبير من الأرانب. لقد ظلت الفتاة تلاحق الأرانب حتى لم يعد بإمكانها رؤيتها بسبب الثلج المنهمر حولها، وظلت تفكر: «كم سيكون مبلغ سرور والديّ المسنين الفقيرين عظيماً! فقد أصبح بإمكانهما الآن أن يأكلا اللحم! كم سيغدوان الآن قويين! وعندما ينفد هذا اللحم، بما فيه المقدد منه، لابد من أن تهب عاصفة ثلجية أخرى، وسيكون بإمكاني الخروج إلى الصيد مجدداً».

في النهاية ظهر الشفق، فنظرت الفتاة حولها ووجدت أن

الثلج قد هطل بغزارة ولم يعد هناك أثر لأي شيء، وأنها قد ضلت طريقها. استدارت وبدأت المشي عبر الثلج الناعم العميق بأقصى سرعتها باتجاه منزلها- كما افترضت. لكنها قدرت الاتجاه بشكل خاطئ، فبدلاً من الذهاب شرقاً على طول الوادي، توجهت جنوباً عبره، مجتازة مدخل سهل الصنوبر المنحدر. واصلت الفتاة المشي وهي تعتقد أنها في الاتجاه المؤدي إلى البيت، حتى حل الظلام ولم تعد تميز الاتجاه الذي تسلكه.

عندها فكرت: «لم لا أجد ملاذاً بين الصخور؟ لَمَ لا أبقى هنا طوال الليل، وفي الصباح عندما يخف الثلج ويبزغ الفجر، سأتمكن من إيجاد طريقي والعودة إلى المنزل؟».

وهكذا اتجهت نحو بعض الصخور القريبة التي بدت سوداء معتمة. ولحسن الحظ، كان بين تلك الصخور كهف يدعى «كهف تايوما». دخلت العذراء الكهف وحدقت في تلك الفجوة السوداء، فشاهدت على مبعدة منه في الخلف نوراً متوهجاً. فكرت الفتاة: «ربما تأخر بعض أمثالي من صيادي الأرانب الليلة الماضية، فأمضوا الليلة هنا وتركوا النار متقدة. إن كان الأمر كذلك، فقد نلت حظاً أكبر مما توقعت». ثم أنزلت الطرائد التي كانت تحملها على كتفها، ورمت بعباءتها،

وزحفت إلى الداخل محدقة في الظلام خوفاً من الوحوش، ثم عادت لتسحب طرائدها وعباءتها.

وفجأة لاحظت وجود موقد من الجمر الحار مدفوناً تحت الرماد في وسط الكهف تماماً، وكانت هناك شظايا من خشب مكسور مكومة على جانب واحد. تقدمت الفتاة سعيدة بحظها وجمعت المزيد من الأعواد من جانب الجرف، حيث توجد أشجار الصنوبر بأعداد هائلة، فبدأت تجمعها في أكوام صغيرة واحدة تلو الأخرى، ونجحت أخيراً في جمع ما يكفي من المخزون لإبقاء النار متقدة طوال تلك الليلة. ثم سحبت جوربيها الجلديين المكسوين بالثلج وعباءتها الملطخة بالوحل، وعلقتها لتجف بحرارة النار، وجلست لتستريح.

اشتعلت النيران واحتدمت، فأصبح الكهف مضاءً بأكمله، كغرفة تقام فيها حفلة ليلية راقصة. ورويداً رويداً، بعد أن جفت ملابس الفتاة، نشرت عباءتها على أرض الكهف بجانب النار، وجلست تجهز أحد أرانبها ثم قامت بشيه، وبعدها فكت طوق كعكات الذرة التي صنعتها لها والدتها، واستمتعت بتناول الكعك واللحم المشوي.

لما انتهت الفتاة من تناول وجبتها المسائية، وكانت على

وشك الاستلقاء ومراقبة النار لبرهة، سمعت صرخة طويلة واهية آتية من مكان بعيد: «النجدة!».

فكرت الفتاة: «آه! لابد من أن هناك من هو أكثر تأخراً مني، وقد ضل طريقه؛ إنه بلا شك أحد صيادي الأرانب». نهضت واقتربت من مدخل الكهف.

تعالت الصرخة: «النجدة!»، لكنها بدت أقرب هذه المرة. ركضت الفتاة إلى الخارج، في حين تعالت الصرخة مرة أخرى، ووضعت يدها على فمها، وصرخت بأعلى صوتها ـ مع أنها امرأة ـ: «هنا!»

ولما أوشكت الصرخة على التردد مجدداً، وكانت العذراء في ذلك الوقت تستمع أولاً، ثم تصرخ، ثم تستمع مرة أخرى، سمعت قعقعة شنيعة لأفعى ذات أجراس. فنفضت يديها في الهواء بفزع ورعب شديدين، وانحنت للأسفل، واندفعت نحو الكهف وتراجعت إلى أقصى حدوده، حيث جلست ترتعد خوفاً، فقد أدركت أن أحد الشياطين الآكلة للحوم البشر، التي تنتشر هذه الأيام، ربما «آتاهسايا» الشرق الشهير، قد رأى ضوء نيرانها من خلال مدخل الكهف، بعينيه الرهيبتين المحدقتين، وافترض أن تكون لمتجولة تائهة، فصرخ كي يجعلها تقوده إلى ملاذها الخفي.

جاء الشيطان ساحقاً الغصينات الصغيرة تحت قدميه وصارخاً بصوت أجش: «هيه، هناك! إذن فأنت في الداخل هنا، أليس كذلك؟». وأصدرت الأفعى رنيناً مخيفاً، بينما التصقت العذراء بالصخرة مرتجفة، يكاد أن يغمى عليها من شدة الخوف.

وقف الشيطان المسن عند مدخل الكهف وزعق: «أشعر بالبرد، وأنا جائع! دعيني أدخل!»، انحنى في الحال محاولاً الدخول؛ ولكن المدخل كان صغيراً جداً لا يسمح لكتفيه العملاقين بالمرور. فما كان منه إلا أن تظاهر بالتهذيب بشكل مدهش وقال: «اخرجي واحضري لي شيئاً لآكل».

صاحت العذراء: «ليس لدي شيء لك، لقد تناولت طعامي».

«ألديك بعض الأرانب؟».

«نعم».

«اخرجي وأحضري لي بعضاً منها».

لكن العذراء كانت أكثر خوفاً من أن تجرؤ على الاقتراب من المدخل.

صرخ الشيطان المسن: «ارم لي أرنباً!».

استجمعت العذراء قواها، ورمت له أحد الأرانب الغالية على قلبها. أمسك الشيطان الأرنب بيده الطويلة الخشنة، وابتلعه بلقمة واحدة. ثم صرخ عالياً: «ارم لي آخر!»، ففعلت ذلك، ومرة أخرى ابتلعه سريعاً، وهكذا حتى رمت العذراء الفقيرة آخر الأرانب المتبقية لديها إلى الوحش المسن الشره. كان يلتقط الأرنب بفمه الأصفر الكبير البارز الأنياب، ثم يبتلعه بكل ما فيه، حتى الشعر، جرعة واحدة.

صرخ: «ارم لي آخر!»، لكن لم يعد هناك أيّ أرانب.

فلم تجد العذراء بداً من الاعتراف: «ليس لدي المزيد».

لكنه صرخ مرة أخرى: «ارم لي حذاءك!».

فرمت له حذاءها المصنوع من جلد الغزال، فابتلعه بسرعة أيضاً كما فعل مع الأرانب. ثم طلب جوربيها الجلديين وحزامها فرمتها؛ وأخيراً، رمت له أيضاً عباءتها وبطانيتها ورداءها الخارجي، حتى لم يتبقّ لها شيء!

بعد ذلك، وبسبب كل ما أكله، انتفخت معدة الشيطان المسن

بشكل كبير، وعلى الرغم من محاولاته حشر نفسه في مدخل الكهف، إلا أنه لم ينجح بأي وسيلة. أخيراً، رفع فأسه المصنوعة من حجر الصوان، وبدأ في تحطيم الصخرة حول المدخل، وببطء وثبات أخذ يوسّع الفجوة، فعرفت العذراء عندئذ أنه سيبتلعها أيضاً فور دخوله، فكادت هذه الفكرة الرهيبة أن تفقدها وعيها. واستمرت فأس الشيطان بالطرق وتحطيم الصخور، بوم، بوم، بوم، بوم.

بعيداً، كان إلها الحرب جالسين في مقرهما في «ثلا–أوثلا» (مقام بين الشجيرات) خلف جبل الرعد، ومع أنهما كانا بعيدين جداً، غير أنهما سمعا صوت تحطم الصخور المتعالي من مطرقة الشيطان في منتصف الليل. وبالطبع عرفا في الحال أن عذراء فقيرة، خرجت للصيد من أجل والديها المسنّين، وضلت طريقها، ثم وجدت كهفاً صغيراً به نار متقدة، دخلته وأضرمت النار، ثم جلست لتستريح؛ لكن ضوء النار جذب الشيطان آكل لحوم البشر، فجاء وحاصر ملجأها، وكاد يوشك على توسيع فجوة الكهف كي يتمكن من حشر بطنه الكبير الممتلئ إلى الداخل ليصل إلى العذراء ويقتلها. إمتشق إلها الحرب أسلحتهما العجيبة وطارا بعيداً في الظلام متجهين بلمح البصر نحو سهل الصنوبر المنحدر.

أوشك الشيطان على الدخول إلى الكهف، فأغمي على

العذراء عند رؤية وجهه الكبير وكومة شعره الرمادية وعينيه المحدقتين، وأنيابه الصفراء الناتئة ويده الخشنة قرنية الشكل. وفي تلك اللحظة، هجم إلها الحرب على الوحش المسنّ، ولكمه كل منهما لكمة قوية بهراوته، فقتلاه وساقاه إلى الفضاء الواسع. فتحا بطنه الضخمة وأخرجا منها ملابس العذراء وحاجاتها إضافة إلى الأرانب المقتولة. ثم قذفا الأرانب بعيداً بين النباتات التي تستخدم للتنظيف، والتي تنمو على المنحدر أسفل الجرف. أما الملابس والأغطية، فقد نشراها على الثلج، فأصبحت في غاية النظافة، بل أكثر نظافة مما كانت عليه من قبل. ثم قذفا جسد الشيطان العملاق إلى الأسفل في أعماق الوادي، ثم عادا ودخلا الكهف وناديا العذراء بكلمات لطيفة، وأيقظاها من غيبوبتها؛ أما العذراء، فلم تر فيهما شخصين قبيحين كما كانا، بل شابين وسيمين (يشبه أحدهما الآخر كغزالين لأم واحدة)، مما أشعرها براحة عظيمة بينما كانت تنحني لتقبل يديهما، وتشكرهما مراراً على إنقاذ حياتها. لكنها انثنت وأحنت نفسها بخجل فلم يكن يغطي جسدها سوى بعض الملابس القليلة، فخرج الشابان وأحضرا لها ملابسها التي قاما بنشرها على الثلج.

ثم بسطا عباءتيهما أمام باب الكهف، وناما هناك طوال

الليل، من أجل حماية العذراء. أيقظاها في الصباح وأطلعاها على العديد من الأمور التي لم تكن تعرفها من قبل، وقدما إليها النصح بقولهما: «ليس على العذراء أن تخاف من الزواج؛ لذلك عودي إلى أهلك في قرية «معبر نهر زوني». سنصطاد لك أعداداً لا تحصى من الأرانب هذا الصباح، وعندما تنطلقين في طريقك، سنحرسك حتى تقطعي الوادي المغطى بالثلوج، و لن نتركك إلا حين تصبحين على مرأى من منزلك، وعندها سنخبرك باسمينا».

وهكذا وفي الصباح الباكر انطلق إلها الحرب؛ وحركا عصيّهما بين النباتات لتنظيف الأرانب العديدة الملقاة على الثلج أمامهما. ثم جمعا أعـداداً كبيرة منها في طوق لكل واحد؛ وعندما لاحت الشمس مشرقة في كبد السماء، ولمعت أشعتها على الثلوج حولهم، أخذا الأرانب وقدماها إلى العذراء قائلين: «سيحمل كل منا طوقاً من هذه الأرانب». ثم أمسكا بيدها وقاداها إلى خارج الكهف وإلى أسفل الوادي، حتى قطعوا الهضاب السوداء المرتفعة التي تحيط بقرية «معبر نهر زوني»، حيث رأت الدخان يتصاعد من المنازل هناك. وحينئذ استدار إلها الحرب نحوها، وأخبراها باسميهما.

فانحنت العذراء مرة أخرى تقبل يديهما. ثم ألقيا بأطواق الأرانب التي كانا يحملانها بالقرب من العذراء واختفيا بلمح البصر.

تابعت العذراء طريقها نحو بيت والديها، وهي تفكر بكل ما تعلمته، ودخلت البلدة مترنحة تحت ثقل الأرانب التي تحملها، ووقف الجميع، الشيوخ والشبان والنساء وحتى الأولاد، يتفرجون عليها بدهشة؛ فلم يكن بإمكان أي صياد في البلدة أن يباري صيادة «كياوانا تيهوا-تسانا». أما العجوزان اللذان أمضيا الليلة يندبان ابنتهما وينتظران عودتها بقلق، فقد غمرتهما السعادة لرؤية ابنتهما التي ألقت الأرانب عند أقدامهما قائلة: «اسمعا يا أبي وأمي، لقد كنت حمقاء، ومررت بالكثير من المخاطر، لأنني أهملت سبل المرأة وسلكت سبل الرجل. بيد أن ثمة شابين علّماني أنه يمكن للمرأة أن تكون صيادة من دون أن تترك بيتها. لذا سأتزوج عندما ألتقي شاباً طيباً، يصطاد الأرانب والغزلان من أجلي، ومن أجل أهلي وأولادي».

وهكذا، وفي يوم من الأيام، جاء أحد الشبان الذين شاهدوا

العذراء تدخل القرية محملة بالأرانب، وقد كان ينتظر موعد وصولها بفارغ الصبر، وقدّم نفسه أمام الموقد في منزل العذراء حاملاً صرة من الهدايا، فقبلت العذراء به زوجاً لها بسرور وابتهاج. ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن، أصبح باستطاعة النساء اللواتي يصطدن الأرانب والغزلان، أن يتزوجن ويتابعن الصيد.

وهكذا تنتهي حكايتي.

الصبي الدميم الطائش الذي طرد الدب عن الهضبة

في زمن الأقدمين، وإلى الشرق من كياكيم، حيث صورة الخبز الحلو الهش مطبوعة على الصخور، عاش صبي دميم بشكل مرعب مع جدته العجوز. كان لون وجهه وجسده الأزرق، وأنفه المعقوف، والندوب المتعرجة ذات الألوان المتعددة التي تغطي وجهه، والنتوء الأحمر كالفلفل على رأسه، تجعله شبيهاً بالرجال المتوحشين الذين أنيط بهم أداء دور السعاة بين مهرجي الكهنة في «الرقصة المقدسة».

في أحد الفصول، هطل المطر بغزارة فامتلأت أشجار الصنوبر بالثمار، وثقلت الأشجار المثمرة بحملها من الفاكهة، أما الأعشاب الرمادية والأعشاب ذات الرأس الأحمر فقد ترنحت تحت أثقالها من البذور، فانحنت كأنها تتقي الرياح حتى لو لم تكن تعصف.

وعبثاً ذهب سكان كياكيم إلى الهضبة الجنوبية الشرقية،

حيث تنمو أشجار الصنوبر والأشجار المثمرة والأعشاب. فلم يستطيعوا جمع الصنوبر والفواكه والبذور، بسبب الدب العجوز البشع الذي ادعى ملكية ذلك المكان ومنتجاته له وحده، فازداد بدانة لهذا السبب. لقد قتل بعض الأشخاص على يده، وأصبح بعضهم الآخر مشوهاً، أما الباقون جميعهم فقد فروا بعيداً.

في يوم من الأيام قال الصبي لجدته: «جدتي، أنا خارج لكي أجمع بعض الفواكه وثمار الصنوبر من الهضبة الجنوبية الشرقية».

صرخت الجدة: «يا ولدي، يا ولدي! لا تذهب؛ لا تفكر حتى بالذهاب! أنت تعلم جيداً أن هناك دباً بشعاً قد يقدم على قتلك وربما يشوهك بشكل مريع».

صاح الصبي: «لست مهتماً بكل ذلك! أنا ذاهب!». ثم خرج.

سلك الممر الملتوي الذي يؤدي إلى وجبة الطعام، ثم تسلق درباً وعرة حتى الهضبة الجنوبية الشرقية، وتقدم فوق السهل الواسع. وسرعان ما بدأ بقطف الفاكهة وأكلها، ثم كسر حبة جوز بين أسنانه، وعندها أطلق الدب زمجرة مخيفة؛ ثم اندفع من أقرب أجمة باتجاه الصبي.

فصرخ الصبي: «يا صديقي، يا صديقي، لا تعضني! فهذا مؤلم! لا تعضني! لقد جئت لعقد صفقة معك».

هدر الدب: «أود أن أعرف لم يتحتم علي ألا أعضك! سوف أمزقك إرباً. لماذا أتيت إلى موطني، أمن أجل أن تسرق فاكهتي ومكسراتي وبذور الأعشاب خاصتي؟».

فأجاب الصبي: «لقد أتيت لأحظى بشيء آكله، فلديك الكثير؟».

قال الدب: «في الحقيقة، ليس لدي شيء. ولن أدعك تقطف شيئاً. سأمزقك إرباً!».

قال الصبي: «لا، لا تفعل، وسأعقد صفقة معك».

صرخ الدب: «من ذا الذي يحدثني عن الصفقات؟». وسحق شجرة صنوبر صغيرة إلى أجزاء بمخالبه وأسنانه، فقد كان غضبه هائلاً.

قال الصبي: «لم تعد هذه الأشياء ملكاً لك بقدر ما هي لي، وسأعمل على إثبات ذلك».

سأل الدب: «كيف؟».

صاح الصبي: «إنها لي؛ إنها ليست لك!».

رد الدب: «إنها لي، اسمعني جيداً! إنها ليست لك!».

رد الصبي بحسم: «إنها لي!».

وهكذا ظلا يتجادلان حتى غروب الشمس، دون أن يتعدى الأمر ذلك، فلم يصل إلى حد تمزيق أحدهما الآخر إرباً بفضل الاقتراح الذي عرضه الصبي على الدب.

قال الصبي: «اسمعني قليلاً هنا! سأقدم لك اقتراحاً».

سأل الدب: «ما هو؟».

قال الصبي: «على من يجد نفسه مستحقاً لهذه الهضبة وما ينمو عليها، أن يثبت ذلك بألا يكون خائفاً من أي شيء يقدم عليه الآخر».

ضحك الدب بصوت أجش: «ها، ها! هذه خطة حسنة، حقاً، أنا موافق تماماً على خوض هذا الاختبار».

قال الصبي: «حسناً، على أحدنا الآن أن يركض ويختبئ، ثم على الآخر أن يأتي ويباغته بطريقة ما ويخيفه، إذا استطاع».

قال الدب: «حسناً، من سيبدأ؟».

قال الصبي: «اختر أنت».

قال الدب: «حسناً، إذن، سأجربك أولاً، فهذا المكان لي». ثم تحرك وفر إلى داخل الأجمة. فتجول الصبي في الهضبة يقطف الفواكه ويأكلها، ويرمي القشور بعيداً. وفجأة خرج الدب مندفعاً من الأجمة منتزعاً الأشجار والأغصان الصغيرة، قاذفاً إياها هنا وهناك، فيحسب المرء أن هناك عاصفة رملية عنيفة تجتاح الغابة.

ثم اندفع الدب باتجاه الصبي محاولاً مباغتته من الخلف.

لكن الصبي لم يتحرك كثيراً، وظل مثل ورقة شجر ساكنة، واستمر فقط في قضم حبات الفاكهة.

فتراجع الدب، ثم هجم ثانية مزمجراً: «ها! ها! ها! هو! هو! هو!» بصوت مرعب، وانقض على الصبي؛ لكنه لم يحرك ساكناً.

هتف الدب: «أقسم بكل حواسي أنك رجل! علي أن أستسلم. فلتجربني أنت الآن. بإمكاني أن أحتمل الخوف الذي احتملته، لكنني أنصحك بالابتعاد عن فاكهتي صنوبراتي، إلا إذا استطعت أن تخيفني».

فدار الصبي على عقبه وأسرع عائداً إلى بيت جدته، وهو يغني في طريق الذهاب:

«من رقعة الصنوبر يجب أن يخاف

من رقعة الصنوبر يجب أن يخاف».

صاحت الجدة: «أوه! هل سيخاف؟ أؤكد لك أني تفاجأت لرؤيتك تعود حياً وعلى ما يرام».

قال الصبي: «أسرعي يا جدتي، واجعليني مخيفاً قدر الإمكان».

قالت الجدة: «حسناً يا بني؛ سوف أساعدك!». فطلت الجهة اليمنى من وجهه بالسخام، وطلت الأخرى بالرماد، حتى أصبح في مظهر شيطان حقيقي. ثم أعطته فأساً حجرية قديمة ذات قوى سحرية، وقالت: «خذ هذه يا بني، وفكر بماذا يمكن أن تفعل بها».

ركض الصبي عائداً إلى الجبل. كان الدب يتجول هنا وهناك، وهو يتناول الفاكهة. ركض الصبي فجأة باتجاهه، وهتف:

«آي ياااااا!

هي!هي!هي!هي!هي!تووووه!»

ثم قطع الجانب المجوف من شجرة صنوبر بفأسه. ارتجت الشجرة بجلبة عظيمة، اهتزت معها الأرض، وقفز الدب كأنه قد ضرب بإحدى الشظايا المتطايرة. ثم استعاد توازنه ولمح الصبي، فهتف: «يا لي من أحمق، حتى أخاف من صبي صغير حقير!» وبرؤية وجه الصبي، أجفل مرة أخرى، وهتف: «أقسم بعيني، إنه شيطان الموت هذا الذي يطاردني، هذا مؤكد!».

وحين اقترب الصبي، قطع بفأسه شجرة أخرى، منادياً بصوت أعلى. اهتزت الأرض بشدة ودوى الضجيج حتى عطس الدب في اهتياج.

ومرة ثانية، حين ا اقترب الصبي أكثر، ضرب شجرة أخرى ضربة مروعة، ودوت الأرض مجدداً وارتجّت بعنف أكبر، وأوشك الدب على فقدان وعيه، وتهيأ له بما لا يقبل الشك أن شيطان الجثث كان قادماً. وعندما ضرب الصبي شجرة قريبة من الدب للمرة الرابعة، ارتمى الدب على التراب بشدة مع هدير الأصوات وارتجاج الأرض. ثم نهض– من دون أن يتوقف ليرى إذا كان هذا صبياً أم شيطاناً– وفر شرقاً بكل ما أسعفته به قدماه من سرعة، وحين سمع الصبي يلحق به لم يتوقف قطّ حتى بلغ جبال زوني.

قال الصبي: «لن أطارد هذا الشرير العجوز أكثر. لقد عاش طوال هذه السنين على الجبل حيث تنمو الفواكه والمكسرات وبذور الأعشاب والتهم منها بمفرده كميات لا يقدر ألف دب على أكلها، دون أن يسمح لأحد من القرية بجمع القليل منها».

ثم عاد الصبي إلى جدته، وروى لها ما جرى.

فقالت: «اذهب، وأخبر أهل كياكيم، من قمة أبعد صخرة عالية، أنه ليس على من يرغب في جمع بذور الأعشاب والفاكهة والصنوبر، الخوف بعد اليوم».

فخرج الصبي، وتسلق الصخرة العالية، وأخبر الناس ما يلي:

«يا أهالي موطن النسور إنني أعلمكم، أن على من يرغب منكم بجمع الفاكهة، وحبات الصنوبر، وبذور الأعشاب، أن الخبز سيخبز، فأسرعوا إلى أعالي الجبال، واجمعوا كل ما تريدون قدر ما تشاؤون، لأنني طردت الدب بعيداً».

لم يصدق كلام الصبي إلا القليل منهم ؛ لأنه كان قبيحاً، لذلك لم يذهبوا؛ وتخلفوا لمدة طويلة عن جمع بذور الأعشاب والمكسرات من أجل قوتهم اليومي، كأن الدب ما زال هناك

حقاً. فكما تعلم يخاف الناس حتى في هذه الأيام من مثل هذا النوع من الدببة.

وقد كان ذلك في أزمنة القدماء. ولهذا فإن الدببة تملأ جبال زوني؛ إلا أنها نادراً ما تنزل إلى الهضبة التي في الجهة الجنوبية الغربية، فقد أقنعها أحد أجدادها بأن شيطان الموت قريب ولا يزال مستلقياً هناك منتظراً قدومها. وأما شعبنا فهم يذهبون إلى الجبال رجالاً ونساء وأطفالاً، يجمعون فاكهة الأشجار المثمرة والصنوبر وبذور الأعشاب من دون أن يثنيهم أي عائق.

وهكذا تنتهي حكايتي.



المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-505-5
9 789948 015055